إلى القارئ

لم تزل هذه المجلة – منذ ان انطلقت أول شرارة للثورة الجزائرية المباركة – تواكب قوى الحق وتناصر قضية العدل والحرية ، وتعزز جبهة النضال المقدس من اجل كرامة الانسان الجزائرى وشرفه أى كرامة الانسانية جمعاء وشرفها، بل ان المتصفح لمجموعات « الفكر » لا يكاد يجد عددا واحدا يخلو من افتتاحية أو بحث أو قصيد أو قصة لفضح جرائم الاستعمار وتخليد بطولة المجاهدين وتصوير روعة الكفاح وانسانيته ، تسابقت الى ذلك أقلام التونسيين والجزائريين – وفى مقدمتهم الصديق مصطفى الأشرف الذى كان يراسلنا من غياهب سجونه بفرنسا – والمغاربة وعدد كبير من ادباء الطليعة فى البلاد العربية الشقيقة .

اننا بذلك لم نتجاوز القيام بالواجب ، واجبنا نحو اخواننا يرومون الحرية وينشدون الحياة الكريمة وواجبنا نحو المغرب الكبير كمجموعة بشرية واقتصادية وثقافية لها وزنها فى البحر الابيض المتوسط ورسالة سامية ازاء الحضارة الانسانية ، وواجبنا نحو المثل العليا التى لا يمكن للاديب الحق والمثقف الاصيل الا يسخر ملكاته لنصرتها والذود عنها .

واليوم وقد انتصرت الجزائر المجاهدة وانبرى ابناؤها ينشئون الحياة ويبنون لعله اصبح من اليسير ان نصمم برنامج النهضة بالادب والثقافة فى ربوع المغرب الكبير ، ونضبط الوسائل الكفيلة بتمتين العلاقات بين ادباء الاقطار الاربعة وارسائها على قواعد ثابتة عضوية ، وتوحيد الجهود كى يستفيد كل بتجارب الاخر فتطوى المراحل وتختصر المحاولات .

انه من الضرورى ان نوجه التضامن الاخوى الذى ربطت اواصره حياة الكفاح المشترك وجهة ايجابية ، وان نعتمده لبلورة ثقافتنا القومية وتنزيلها المنزلة اللائقة بين الثقافات الاخرى ، وصيانتها من كل ما يهددها بالتشويه والمسخ من ضروب الاستعمار الثقافى المحدق بها ، مع توفير اسباب التفاعل و « الحوار » كى نجنبها الانكماش القاتل او التعصب الخانق .

وان فى ما ادلى به الينا السيد كاتب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار فى هذا العدد ما يلقى الاضواء الكاشفة على المجهودات التى تبذلها تونس فى هذا الصدد وحبذا لو تم الاتصال فى اقرب الاوقات بين القائمين على الثقافة فى اقطارنا المغربية للاسراع بتوحيد الجهود والخروج مما فرضه علينا الاستعمار من فردية وحدود مصطنعة ، وحبذا لو انعقدت المؤتمرات أو حتى الاتصالات الاولى بين الأدباء والفنانين ورجال المسرح والسينما..لدراسة الوضع والسبق الى الخروج بفكرة « المغرب الكبير » من طور القوة الى حيز الفعل .

ان أعظم المشاريع الانسانية وأطرف « الحقائق الجديدة » أحلام تداعب خيال الادباء و « نظريات » تجود بها قرائح المفكرين يحققها المخلصون بل يحققها الرجال الرجال !

الفكر

السيد كاتب الدولــة للشؤون الثقافيــة


الشاذلي القليبي

رأت مجلة الفكر ان تتوجه فى مطلع هذه السنة الى الصديق الاستاذ الشاذلي القليبي كاتب الـدولة للشؤون الثقافية والاخبار بجملة من الاسئلة حول الوضع الثقافى فى البلاد واهـم المشاريـع التى صممتها كتابـة الـدولة للنهوض بالثقافة وتحقيق الازدهار المنشود فى هذا الميدان واذ ننشر الاجوبة الشافية التى تفضل السيد كاتب الدولة بها-فاننا نشكره ونرجو ان يجد رجال الثقافة والمتحمسون لها فى هذه الديار ما يعينهم على تحليل الواقع الثقافى وتقدير المجهودات التى يبذلها المسؤولون للنهضة المرجوة •

الفكــر

* * *

1) ما هو مفهوم الثقافـة فى نظركم ؟-وهل لنا ثقافـة قومية فى تونس وبم تستطيعون ان تعرفوها وما هى الاتجاهات الكبرى التى تتنازعها ؟

2) ما تعتزمون القيام به لبعث الثقافة التونسية وتوفير اسباب ازدهارها ؟

يمكن النظر الى الثقافة من اوجه مختلفـة :

فباعتبار المحتوى ، الثقافة جملة الانتاج الذهنى دون ميز بين ما يدون فى الكتب وما يسجل بطرق اخرى كالرسم والنحت ••• ولا بين ما يتصل بالعقل او بالوجدان كالموسيقى والرقص ••• فبهذا الاعتبار ، يدخل فى الثقافة كل انتاج يحمل وجها من القيم الانسانية العليا ، سواء اكانت عقلية ام روحية ام جمالية • الثقافة اذا تشمل جميع منتجات القريحة البشرية •

وهي ترتكز على معنى الشمول باعتبار آخر : وهو انها منبثقة عن الجماعة وانها تنزع دوما الى تجاوز تلك الجماعة والانتشار فى رقعة دوما تتسع •

فمن هذه الناحية يمكن ان نقول : ان الثقافة خلق جماعى ، وانها بذلك تعبر عن الجماعـة •

ولما كانت هذه الجماعة مستمرة متقلبة كانت الثقافة نفسها متطورة مستقرة اى انها تشتمل على خصائص باقية وعناصر متغيرة حسب الازمان والظروف•

واذ كانت الثقافة خلقا فانها لا تبقى حية الا اذا تواصل هذا الخلق وتواصلت عملية انصهار العناصر الجديدة دون ان يحدث انفصام فى السيل الزمنى • وبذلك تتصف الثقافة بالدوام رغم الكسب المتجدد ويصح ان تنعت بالعريقة رغم انها مندفعة مع تيار الزمان •

على اساس هذا الوصف الاجمالى السريع ، هل يحق لنا ان نؤكد وجود ثقافة قـومية ؟ الواقع ان الشعوب العربية عاشت منذ البدايـة على ثقافـة مشتركة • ولا نجد خلال التاريخ ثقافات اقليمية متميزة بل ثقافات كبرى مرتبطة بفترات من تاريخ الامة العربية : كالثقافة الاموية ، والثقافة العباسية، والثقافة الاندلسية •••

فالى عهد الحماية كانت تونس تعيش فى نطاق الثقافة العربية الكبرى • ولما حصل الاصطدام بالاستعمار الفرنسى وتبلورت فكرة القومية التونسية ــ وللاستعمار فى غالب البلاد العربية اثر كبير فى ابراز الجنسيات على اساس الكفاح القومى ــ تبلور ايضا مفهوم الثقافة القومية ، ولكن باعتبارهـا هى الثقافة العربية المشتركة بعينها • ولم تتميز فى الاذهان فكرة ثقافة عربية قومية ــ اى تونسية ــ الا بعد قيام الدولة وبناء الامة وشعور الشعب التونسى بجميع ما يميزه عن بقية الشعوب العربية ــ طبعا ازاء ما يربطه بها من اواصر اللغة والحضارة والماضى المشترك ــ وتيقظ قادة الفكر ــ بالخصوص ــ الى دور الثقافة فى المجتمع ، والى انها لا تكون ذات حيوية وفعالية الا اذا كانت لسان جماعة بعينها وتعبيرا عن واقع بعينه •

وبعث ثقافة قومية ــ والحق يقال ــ ليس بالامر الهين اليسير ، ولا يمكن بحال ان نقارن بين الذاتية الثقافية والذاتية السياسية • فالامم التى انجبت ثقافات متميزة عددها قليل جدا بالنسبة الى التى بقيت فى موقف المستهلك • لذا لا يصح ان تدعى كل امة من الامم المستقلة بناء صرح ثقافى متميز • ولا بد فى مثل هذا الامر من الارتكاز على دعائم روحية وحضارية عريقة •

وقد اسلفنا ان الثقافة دأبها التجاوز ، تجاوز حدود الجماعة وتوسيع رقعة اشعاعها •

وفى ذلك سر حياتها ودليل حيويتها . الثقافة تنزع الى الشمول بطبيعة جوهرها والرسالة الانسانية التى تحملها تفرض هذا التجاوز وهذا الانتشار المتواصل . لذلك قلما نجد الثقافة الاصيلة العريقة منحصرة فى حدود الامة الواحدة . بل هى تعم ـ غالبا ـ جماعة من الشعوب وطائفة من الامصار وجهة من جهات المعمورة على اساس مميزات مشتركة .

كذلك اذا نظرنا الى الثقافة العربية فانها تعم جميع البلاد المتكلمة بالعربية على اختلاف لهجاتها ، بقطع النظر عن المعتقد ، حتى انها ترامت من المشرق الى المغرب . فكان لزاما ان تظهر داخلها خطوط فاصلة لمناطق ثقافية متميزة. من ذلك ما نسميه اليوم المغرب الكبير (او المغرب العربى) الذى يشمل اولا ما كان يسميه الرومان « افريقية » ـ اى تونس وجزءا كبيرا من الجزائر ـ ثانيا المملكة المغربية وجـزءا من الجزائر ، ثالثا المملكة الليبية . فمعلوم ان هذه المنطقة كان لها فى الماضى ثقافة قائمة الذات ارتبطت فى وقت من الاوقات بالحضارة الاندلسية . وواضح ان ثقافة هذا المغرب ، وان اكتست بعد الفتح ثوبا عربيا ، فهى مزيج من مؤثـرات حضارية متنوعة لا تجدها متجمعة فى المشرق العربى .

فلئن كان من العسير بناء ثقافات ثلاث ، تختص احداها بالمغرب الادنى ـ ليبيا وتونس ـ والاخرى بالمغرب الاوسط ـ الجزائر ـ والثالثة بالمغرب الاقصى ، فانه من السهل ، بل من المتأكد ، ان نعمل على ابراز معالم الحضارة المغربية التى ازدهرت وفرضت ذاتيتها فى نطاق حضارات متوالية .

ذلك ما يفرضه التاريخ والواقع . على انا لا نتصور هذه الثقافة المغربية الا ضمن الثقافـة العربية الكبيرة تحتضنها وتغذيهـا وتتفاعل معها ، كما لا نتصورها الا متفتحة على ثقافات البحر الابيض المتوسط تتفاعل معها كذلك فى حوار لا ينقطع .

كيف نمهد لهذه الثقافة المغربية ؟

فى امكاننا ان نتضافر وان نتكاتف ـ معشر بلدان المغرب الكبير ـ لتهيئة الاسباب المعينة على قيام الثقافة المغربية ، وذلك :

ـ باحياء التراث المغربى الحق الذى يجب ان يكون الدعامة الاولى للبعث الثقافى ، وذلك بجمع المخطوطات التى لها طابع مغربى صرف والعناية بنشرها حتى يعود الحوار بين الاجيال الغابرة والجيل الصاعد ، ذلك الحوار الذى بدونه لا تكون الامة ولا الحضارة ولا الثقافة مطلقـا . اذ الثقافة انما هى الذاكرة بالنسبة الى الامة ولا مستقبل للامة اذا لم تكن واعية للماضى .

هذا الاحياء لا بد من القيام به فى نطاق كل من اقطار المغرب . ومن المفيد

جدا ان تسند مهمة التنسيق الى لجنة ثقافية مشتركة منبثقة عن المجالس العليا للثقافة فى كل من بلاد المغرب الكبير • وسنشرع بالنسبة الى تونس فى انشاء هذا المجلس وتركيز نشاطه على قواعد متينة •

ـ بحث نظم التعليم ومحاولة ابراز عناصر مشتركة وطرائق موحدة، اذ الغذاء الذى سيتلقاه الجيل الصاعد هو الذى سيكون فيه الشخصية الاصيلة ويوجه نزعاته العاطفية واتجاهاته الفكرية • فمن المتأكد ايجاد وسائل التوفيق ، وتقريب الشقة ان لم نقل التوحيد العاجل ، وذلك سهل ما دمنا فى هذه المرحلة الانتقالية التى لا تزال فيها آثار الفترة الاستعمارية قائمة • فمن النزاهة التاريخية ان نعترف ان للاستعمار ـ احيانا ـ نتائج تجعلنا نقول عنه ما قاله ابو الطيب عن الشدائد • وقد ترك الاستعمار الفرنسى فى البلدان الثلاثة اشياء قد نختلف فى الحكم عليها ولكن لا نختلف فى اعتبارها هى ايضا من عوامل التقريب

ـ اتخاذ التدابير الكفيلة بمساندة حركة التاليف وتسهيل رواج الكتب بين الاقطار الاربعة •

هذه بعض الاجراءات والتدابير التى ينبغى اتخاذها لتهيئة البعث الثقافى• وهى لئن كانت واجبة فليست بكافية البتة ، اذ البعث الحقيقى متوقف على وعى الافراد وقدرتهم على الخلق الثقافى واداء الرسالة الروحية التى يحملونها، وهو متوقف ايضا على مدى نضج الامة وقدرتها على فرض رسالتها الثقافية فنية كانت او فلسفية او اخلاقية

3) ما هى مشاريعكم لتثقيف الشعب ورفع مستواه ؟

لاشك ان تثقيف الشعب من الوسائل التى تمهد للبعث الثقافى الذى كنا نتحدث عنه •

والثقافة فى الواقع تنطوى على تيارات متقابلة واتجاهات متناقضة • من ذلك انها تنزع فى الآن نفسه الى السمو حيث لا يقدر على اللحاق بها الا قلة من الخاصة ، والى الانتشار والشمول حتى تعم العدد الاوفر من الجماعات والافراد•

نعتقد انه من المفيد الحفاظ على النزعتين مع الاحتياط من تغلب احداهما على الاخرى ، لان الثقافة التى لاتقوى على الصعود الى القمم وعلى التحليق فى اجواء الفكر والروح لمعالجة معضلات الانسان والوجود ، ليست جديرة بان تنتسب الى الانسان • كما ان الثقافة التى لا تحسن ان تنزل الى متناول الجمهور تبقى مقطوعة الاصل بالواقع مثلها مثل الشجرة غير الطيبة :

فرعها فى السماء واصلها غير ثابت ، فلا تتفاعل فيها قوى النور وقوى التربة الصماء ٠

لذلك ننوى الاضطلاع باعباء التثقيف الشعبى واضافة جهودنا الى الجهود الكبيرة التى يبذلها الحزب والمنظمات القومية للرفع من مستوى الجماهير الكادحة ، ولتمكين كل مواطن من ان يتثقف ويهذب من نفسه ويسمو بذاته درجات حسب طاقته وميوله ٠

ونجعل فى اول مرتبة من ذلك مقاومة الامية فى طبقات الكهول الذين يخوضون الحياة الاجتماعية ٠ لانا نعتقد ان القدرة على القراءة هى الاداة الاولى للتثقف واكتمال الذاتية ورفع المستوى الذهنى ٠ وذلك هو اساس ما نسميه بالكرامة الانسانية التى ننشدها من خلال ما نرومه من نهضة اجتماعية واقتصادية ٠

ونحن الآن بصدد درس تجربة ترمى الى القضاء على الجهالة قضاء مبرما ، ربما اقدمنا عليها فى الاشهر المقبلة ، وهى تعبئة عامة لرفع الامية بتجنيد طائفة من الموظفين فى كل مدينة وفى كل قرية للقيام بدروس منظمة فى نوادى الشعب وسائر المنظمات القومية ، حتى ناتى على الامية بعد اجل لا يتجاوز العامين ٠

ثم انه لا يكفى ان نعلم المواطنين القراءة والكتابة ، بل يجب ان نعلمهم ايضا ـ وبالخصوص ـ استعمال هذه الآلة الجديدة التى اكتسبوها حتى لا تصدأ وحتى يتذوقوا متعة التعلم الذاتى فتبقى حية فيهم جذوة اليقظة ٠ لذلك ستركز عملية التثقيف الشعبى فى نطاق « دار الشعب » التى ستكون مركز الثقافة والوعى الاجتماعى والقومى فى كل مدينة وفى كل قرية ٠ فسوف تكون دور الشعب مقر المنظمات المحلية سياسية كانت او نقابية او ثقافية وفيها يتلقى المواطنون الدروس الاجتماعية ويحضرون الاجتماعات العامة العادية ويشاهدون الروايات السينمائية والمسرحية ٠

وفيها يجد الكهول قاعات للمطالعة وللرياضات المسلية ، كما يجد فيها الاطفال جناحا خاصا ببعض الالعاب التربوية او التثقيفية كالعناية باصناف من النبات والحيوان ٠٠

لقد شاءت عناية فخامة الرئيس بالثقافة ان يحدث لجنة ثقافية فى العاصمة منذ ما يزيد على الثلاث سنوات ، وذلك للخروج بالحياة الفكرية من الركود ولينفخ فيها من روحه ٠ وقد تولى بنفسه الاشراف على اعمال هذه اللجنة واحاطها بكامل رعايته ٠ وامام نجاح هذه البادرة راينا تعميمها الى سائر المدن والقرى الكبيرة حتى تكون اللجنة الجهوية ـ فى مركز كل ولاية ـ ثم من تحتها اللجان المحلية ـ فى كل معتمدية ـ اداة تنشيط وتنسيق للحياة

الثقافية فى نطاق دار الشعب • وتكون اللجنة المركزية بالعاصمة هى المشرفة على اللجان الداخلية ، تغذيها وتنسق المبادلات بين العاصمة وبقية الجمهورية من جهة وبين مختلف الولايات من جهة اخرى • ولا يخفى ما فى ذلك ازاء تقوية الحياة الثقافية واحكام تنظيمها ـ من توثيق الصلة بين مختلف اجـزاء الوطن وجعلها متماسكة متكاتفة •

وبذلك نكون قد حققنا غـرضين ، يخيل انهما متباينان : تمكين الـذاتية الثقافية الجهوية من البروز وفى الآن نفسه احكام الربط بين اجزاء الجمهورية على تباعدها •

4) ما هى الاجراءات التى اتخذتموها او تنوون اتخاذها لبعث حركة التاليف والنشـر ؟

اهم وسيلة للتشجيع على التأليف والنشر هو ايجاد القراء اولا وقبل كل شىء ، وخلق السوق الملائمة • ونعتقد ان حركة التثقيف الشعبى التى اشرنا الى كبريات خطوطها سوف تكون الدعامة لذلك •

الى ذلك تنضاف جملة من التدابير ، بعضها تم ، وبعضها لا يزال فى حيز الـدرس • فقد تم انشاء شركـة قـومية للنشر والتـوزيع تضطلع مباشرة بمهمة النشر ، وعنها تتفرع شركتان احداهما للتوزيـع (وتضم عـددا من اصحاب المكتبات) والاخرى للطباعة • وعندما يتم المشروع ـ ونامل ان يكون ذلك فى بحر السنتين القادمتين ـ تزول العقبة الكأداء التى يواجهها المؤلف ، وهى وسائل النشر والطبع والتوزيـع ، وهى التى كبلت ايـدى النخبة فى بلادنا منذ امد بعيد •

ولضمان حقوق التاليف سنصدر فى القريب العاجل قانونا متعلقا بحقوق المؤلفين على اختلاف انواعهم • والى جانب ذلك ننوى احداث تشجيع مباشر للمؤلف ، وذلك باعطاء منحة قد تعادل حق التاليف لكل كتاب يوصى بتشجيعه المجلس الاعلى للثقافة • ونحن ـ الى جانب ذلك ـ بصدد درس الوسائل التى من شانها ان تسهل تصدير الكتاب التونسى •

5) ما هو دور المسرح فى العمل الثقافى الذى انتم بصدد القيام به ؟ كيف ترون تنظيم المسرح ليقوم بهذه الرسالة ؟

اشرت فى مستهل هذا الحديث الى مفهوم الثقـافة الذى نميل اليه اليوم

وحاولت ان اوضح تنوع ميادين الثقافة العصرية وانها لم تعد مقصورة على الالوان القديمة • من ذلك ان المسرح اصبح ركنا من اركان الثقافة عند الامم المتقدمة • ولقد تسرب الينا هذا النوع من الانتاج الفكرى ولقى استحسانا لما فيه من جمع بين الهزل والجد وبين ما يروق وما يفيد فى الوقت نفسه •

وفى مجتمعاتنا العربية الاسلامية ، ينبغى ان نوجه العناية الفائقة الى المسرح لتلقيح النشاط الثقافى وتمكينه من الاضطلاع بالدور الاخلاقى الذى يقوم به فى المجتمعات الكبيرة •

ذلك ان الثقافة المحترمة عندنا بقيت القرون الطوال محصورة فى الجد والوقار ، مقصورة على معالجة المشاكل الانسانية بالوسائل الجدية اى : الفكرية ــ بالنسبة الى النثر ــ والعاطفية ــ بالنسبة الى الشعر •

فنتج عن ذلك بعد فاحش عن مجابهة مشاكل الانسان والوجود ، وحياء متناه من اماطة اللثام عن دخائل النفوس ، مما اورث كبتا نفسانيا وفنيا فى مستوى الشعوب وانواعا من الارتباك النفسانى والاجتماعى •

وليس كالمسرح لنشر خبايا النفوس واستعراض بواطن المعضلات الفردية او العائلية او الاجتماعية التى كثيرا ما نغض عنها الطرف حياء او تحاميا أو نفاقا •

فالمسرح يعد من انجع الوسائل لمعالجة هذه العقد واضاءة النفوس ومداواة الامراض الاجتماعية المنجرة عن عدم مواجهة الامر عند استفحاله والامساك حتى عن الكلام عنه •

والمسرح دخيل على ثقافتنا العربية ، ولم يتم الى اليوم توطينه بصورة مرضية وهو فى تونس لا يزال متعثرا لان الاركان الثلاثة التى يعتمد عليها ــ التاليف والاطارات والجمهور ــ تتصف بالقلة والضعف معا •

اما الاطارات فلا نعنى بها الممثلين فقط ، بل جميع الاختصاصات الفنية التى تحتاج اليها المسرحية لتستقيم وتؤتى ريعها كالاخراج والتاثيث واختراع الملابس وتكييف الملامح واستعمال الاضواء الخ•• والمسرح التونسى يفتقر الى هذه الاختصاصات جميعا لاسباب مختلفة نخص بالذكر منها ضعف المستوى الذهنى والاعتماد على القريحة والارتجال والاعراض عن الكد والجهد سواء فى تعلم الادوار او اجراء التمارين او فى سبر اغوار النفسيات واستنباط ما تقتضيه على وجه الضبط والدقة •

نستطيع التغلب على هذه الآفات بطرق شتى منها :

ــ ارسال طلبة لحذق مختلف هذه الفنون المتصلة بالمسرح • وذلك

بشروط منها ان يكون هؤلاء الطلبة من ذوى الثقافتين حتى يحسنوا فهم ما يتلقونه ـ ويحكموا من بعد استعماله وتطبيقه ـ خاصة فيما يتعلق بالتمثيل والاخراج ، اذ لا يعقل ان يتولى التمثيل ولا الاخراج من لا يفهم من النص المسرحى الا العموميات السطحية ، ومنها ايضا ان لا يطول تغيبهم حتى لا تنفصم اللحمة التى تربط بينهم وبين البيئة والمجتمع الذى انبتهم ، تلك اللحمة التى بدونها لا يتم الوفاء لرسالة المسرح • ومن تلك الشروط ومن اهمها ان يزاول الطلبة دروسا فى الآداب تمكنهم من الحصول على ثقافة عامة •

كيف يقع اختيار هؤلاء الطلبة ؟

اعتقد ان ازمة الاطارات راجعة الى سبب اصلى هو كيفية انتداب هذه الاطارات •

لقد تركنا ذلك ـ الى حد يومنا هذا ـ لحكم الصدف او اجتهاد من اخفق فى ميادين أخرى فالتفت الى المسرح يطلب الرزق •

ولن نخرج من هذه الازمة الا اذا حولنا مجرى هذا التيار بان رددنا المسرح الى الهواية الصادقة والاعتماد على المواهب المتأصلة وجعلناه مواكبا للنشاط الثقافى متفرعا عنه •

وقد اسلفنا ان المسرح من افضل الوسائل لتثقيف الشعب والمحافظة على التوازن الاخلاقى والاجتماعى بالاضافة الى انه من اجمل وسائل الترفيه بالنسبة الى الممثل والمشاهد على السواء •

لذلك ننوى تشجيع الهواة ومدهم بجميع المساعدات وجعل مسارح دور الشعب تحت طلبهم فى المدن والقرى • وسوف تتولى اللجان الثقافية رعاية هذه المشاريع وتوجيهها والعمل على الرفع من نتائجها •

وبصورة اخص نعتزم بالاتفاق مع كتابة الدولة للتربية القومية ان نشجع الجمعيات المسرحية المدرسية والطالبية حتى تكون هى المخبر الذى تمتحن فيه المواهب وتنتقى ، وحتى تصبح الفنون المسرحية من الاختصاصات التى يقبل عليها الطلبة ، عند تخرجهم من المعاهد الثانوية ، بحكم الهواية والمقدرة لا بحكم الفشل فى اعتناق ما قد يعتبر افضل •

اما بالنسبة الى الاطارات التى تباشر الآن النشاط المسرحى فى نطاق مؤسسات او جمعيات ـ وريثما تؤتى الارساليات نتائجها ـ فيجب ان يرفع من مستواها بشتى الوسائل العملية الناجعة •

بقى دور ما كان يسمى بمدرسة التمثيل ولم يعد الآن الا شعبة من شعب معهد تعليم الموسيقى والرقص • الحقيقة ان انشاء هذا المعهد كان فى ظروف

اتسمت بالارتجال والبعد عن معالجة الامور من اساسها ، لذلك فان ازمة الاطارات المسرحية تنعكس فى هيكل هذه المدرسة ويتفاقم امرها بقدر ما يتوهم الكثيرون من خريجى المدرسة انهم اكتسبوا الموهبة والدربة بفضل ما احرزوا عليه من شهادات ٠

ب ـ اما ازمة التاليف فهى طبيعية ايضا بالنسبة الى ثقافة قريبة العهد بالمسرح ولكنها تشعبت بعض الشىء بسبب ما وقعنا فيه من تقليد للمظاهر دون نفاذ الى اللب الذى هو ينبوع الحدث المسرحى وسر روعته واخذه بمجامع القلوب ٠ وعوض ان يكون المسرح عندنا اداة بحث وطلب واستكشاف للمغلقات البشرية والوجدانية تحجر عند بعض الاساليب المنقولة والطرائق المحفوظة وزاغ عن المهمة التى كان يتخذ من اجلها ٠

المشكل مرتبط فى الحقيقة بمسألة نضج الثقافة العربية عامة والمغربية بوجه اخص ، ومدى اقتدار الكتاب والمفكرين عندنا على ان يجعلوا من مشاكل الواقع مادة للفكر والخلق الفنى ٠

وقد يكون من المفيد ، للتعجيل بهذا النضج ، ان نعمد الى الترجمة والاحتذاء حتى نهيىء بعض الدعائم ويتخرج كتابنا على اساطين الفن ٠ لذلك سنتخذ جملة من التدابير لتشجيع حركة الترجمة والاقتباس ٠

ج ـ اما الجمهور فمتألف فى اغلبيته من الطبقات الشعبية ـ لاعراض النخبة عادة عن المسرح العربى ـ فالمسرحية لديه و « العوادة » سيان ، يطلب من الاولى ما يطلبه من الثانية : ان تكون فرصة من فرص « الخروج » و « الالتقاء » و « الشيخة » بشىء غير قليل من الضجيج والضحك والحراك ٠

وانا لنجد انفسنا امام دائرة مفرغة : النخبة تعرض عن المسرح لتفاهته ، والمسرح تافه لضعف التأليف من جهة اى لعجز النخبة فى الواقع ، ومن جهة اخرى لان القائمين عليه يجارون الطبقات الشعبية ويقصدون الى الكسب الرخيص ٠ وما دامت الجماهير الشعبية على مستواها الحالى من الجهل وقلة التثقف لن نستطيع ان ننهض بالمسرح نهضة صحيحة ، كل هذه العناصر متماسكة ٠ ولذلك تصدت الحكومة لمقاومة الامية ونشر الوعى الثقافى وجعل التعليم الابتدائى جبريا ونشر التعليم من اقصى الجمهورية الى اقصاها ، كل ذلك معا وفى الوقت نفسه ٠ وفى ثمرة هذه الجهود حل المشكل الثقافى ، بل جميع المشاكل الثقافية ٠

6) ان حاجة المسرح للاطارات والمرشدين كثيرة • فما هى التدابير التى اتخذتموها لتكوين هذه الاطارات • ومن جهة اخرى هل فكرتم فى ايجاد قاعات كافية عددا ونوعا لنشر التمثيل فى عموم الجمهورية ؟

قد اجبت عن نواح من هذا السؤال لما اجبت عن السؤال السابق • ولكنى أريد ان أعود الى موضوع هواة المسرح •

فلتمكينهم من القيام بهوايتهم على وجه مرضى سوف نرسل منشطين مسرحيين الى بعض الجهات كى يعملوا على توجيه الجمعيات المحلية ومساعدتها فى اطوارها الاولى وسنعقد دورات سنوية ندعو اليها عددا من رجال المسرح الهواة لدرس شؤون المسرح ومشاكله التطبيقية بمساعدة خبراء واساتذة •

ومن اسباب التنشيط والارشاد ان نقيم شبكة من المبادلات المسرحية فى نطاق الجمهورية قاطبة وان نمكن الحركات الجهوية من الاستفادة بما يجرى فى المدن الكبيرة • لذلك سنتخذ التدابير اللازمة لتمكين اللجان الثقافية من اقامة هذه المبادلات ولتمكين كبريات الفرق من التنقل بانتظام •

7) يظهر ان السينما بالنسبة لكتابة الدولة للثقافة قاصرة الجهد على الاخبار والاشرطة القصيرة ، فهل تفكرون فى توسيع نطاقها باعداد اشرطة تساهم فى التثقيف بصورة مباشرة ؟

للسينما فى عصرنا دور عظيم فى جميع البلدان وبالاخص فى المجتمعات المتخلفة التى ترتفع فيها نسبة الامية ، لانها تمتاز بنجاعة خاصة فى التبليغ بفضل ما يجتمع فيها من لفظ وصور •

ونحن نعلق على السينما آمالا جساما باعتبارها اداة اخبار وتثقيف معا • وسوف نستعملها فى وجوه متعددة وفى مستويات مختلفة •

فهناك اولا الشريط الاخبارى الاسبوعى الذى نحاول ان يكون مرآة لجهود الامة خلال سبعة ايام • ونسعى جهدنا الى جعل هذا الشريط عاريا من اساليب الدعاية الجوفاء ، آخذا باساليب الاخبار الصحيحة التى ترمى الى ايقاظ الهمم وتنمية الوعى ــ سياسيا كان او اجتماعيا او ثقافيا على السواء ــ كذلك سنغتنم جميع الفرص لانتاج اشرطة تختص ببحث احد المواضيع او المشاكل التى تشغل الامة فى وقت ما (كالتعاضديات ووحدات الانتاج الفلاحى وتحوير التعليم والجهاز الصحى الخ••)

وعلاوة على ذلك ، ستضطلع شركة الانتاج السنمائى بتنفيذ برنامج طويل المدى يهدف الى اعداد جملة من الاشرطة الاجتماعية والثقافية ٠

ونظرا الى ان امكاناتنا فى الانتاج بطبيعة الحال محدودة فانه لا بـد من الاستعانة باشرطة غير تـونسية ، سواء فى ذلك الآتية من بـلاد العـرب ـ ويمكن اقامة شبكة من المبادلات بين جميع البلدان العربية المهتمة بالتربية الاجتماعية ـ او الواردة من بلدان اجنبية ـ وقد شرعنا فى تعريب البعض منها٠

الى جانب هذه الحركة الخاصة بتثقيف الجماهير ، نود ان تقـدم السينما للاطفال والشبان غذاء فكريا وروحيا ٠

اما الاطفال فستخصص لهم حصص سينمائية صباح ايام الاحد يشاهدون فيها افلاما متنوعة يقع انتخابها بكامل العناية ٠

واما الشبان فسنمكنهم من مشاهدة روائع السينما القديمة والحديثة وذلك فى القاعات التابعة للجان الثقافية وباسعار منخفضة جدا ٠

بقى ان اشير الى ان كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار تعتزم بالاتفاق مع الدوائر التى يهمها الامر ، ان تحور القانـون المتعلق بلجنة الاطـلاع على الافلام ٠ واهداف هذا التحوير رفع مستواها ، واشتراط كفاءات ثقافية فى اعضائها وتوسيعها الى غير الدوائر الرسمية من المعنيين بالسينما وبتاثيراتها الاجتماعية : جمعيات السينما ، نقاد سينمائيون ، المنظمات القومية ، وخاصة منظمات الشباب ٠

واعتقد ان مهمة هذه اللجنة لن تكون سلبية بالدفاع عن الاخلاق المتزمتة والطرق المعبدة ، وانها ستكون مجالا لتبادل الراى بكامل الحرية وكامل الجرأة حتى نتمكن نحن من ان نقدم الى الجمهور ـ الى كل صنف من اصناف الجمهور ـ الغـذاء الصحيح والمتعة الصافية ٠

8) ان اهتمامكم بالفنون الشعبية أتى بنتيجته سريعا فهل لكم ان تبينوا لقراء « الفكر » الطريقة التى اتبعتموها لابراز ما لنا من تراث فى هذه الناحية ؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال مباشرة اود ان احلل مفهوم الفنون الشعبية، والاسباب التى دعتنا الى العناية بها والحث على احيائها والاحتفال بها ٠ فلقد اساء بعضهم فهم الغاية التى اليها نقصد، فعمدوا الى احياء ترهات ما أنزل الله بها من سلطان ، هى الى التهور والانحطاط اقرب منها الى الفنون الشعبية ٠

فنحن نعتقد ان الفنون الشعبية لون من الثقافـة ، ولربما كانت اساس

الثقافات القومية ، تسبغ عليها من الوانها وتنفخ فيها من روحها وتكسبها الطابع الذى به تمتاز ثقافة شعب من الشعوب عن سائر الثقافات • ذلك ان هذه الفنون الشعبية مرآة لنزعات الشعب واتواقه ، تعبر عن طباعه واخلاقه، وتحكى تقاليده واعياده •

وهى تنتسب الى الثقافة ، ولا تختلف عنها فى الجوهر ان هى اختلفت احيانا فى الاسلوب والطرائق ودرجة التهذيب • فلئن كانت الثقافة عملا ياتيه الانسان حرا مختارا وبه يعبر عن كيفية اتصاله بغيره وبالعالم وبالغيب شتى التعابير ، فالفنون الشعبية ـ شعرا كانت او غناء او رقصا ـ تعبر بافصاح عن خلجات الانسان والنحو الجمالى أو الاخلاقى الذى عليه يعيش الانسان صلته بسواه •

ولكن ظروف العيش وعوامل التقهقر والتخلف الذهنى تضافرت لتطفىء من جذوة هذه الفنون وتحجرها ثم تبيدها وتجعلها نسيا منسيا ، فى كثير من الجهات ، حتى اصبح البشر ـ لفرط ما وصل اليه من بؤس وجهل ـ كالارض البلقع الصفصف وقد لفحتها الشموس وجردتها الرياح من كل خصب • فاذا الانسان عاجز حتى عن طلب المرح •

لذلك نعتقد ان احياء الفنون الشعبية ذود عن الروح ان يموت فتبقى هذه الجماهير عزلاء تجاه الحياة العصرية وانقلاباتها الشديدة ، فتطغى المادة على الانسان وتتقمص القيم التى بها شرفه وعزته وقوته اولا وآخرا •

ونعتقد ان هذا البعث يمهد للثقافة ، ويعد الطبقات النشء لتذوق الجمال ويهيىء النفوس للتفتح وقبول الصقل والتهذيب وهو فى الحقيقة ما يسمى بالتثقيف الذى نسعى اليه لتتوفر شروط الكرامة لدى المواطنين جميعا •

لكل هذه الاسباب عمدنا الى احياء الادب الشعبى والفلكلور بانواعه ، ونادينا بضرورة الجمع والتهذيب والاحياء • وألقينا مسؤولية ذلك على السلط المحلية وعلى اللجان الثقافية بوجه اخص • وطلبنا منهم ان ينشروا التقاليد الفلكلورية وان يدعوا الناس الى التبارى فيها ، ونحن نعلم ان هذا الاحياء لن ياتى بالنتيجة المرجوة ـ اى رفع المستوى الذهنى والروحى ـ الا اذا اقترن بسعى الى التهذيب والصقل • لذلك نرى ضرورة تدخل الخبراء ـ فى الموسيقى او الغناء او الرقص ـ للتوجيه والتنسيق • وقد شرعنا فى ذلك بالنسبة الى بعض الجهات وفى عزمنا ان نكون بعض المرشدين لتكليفهم بمهمة التنشيط والتهذيب فى الولايات •

9) وفي هذا الصدد ونظرا للنجاح الباهر الذى كلل به مهرجان المرجان هل لكم ان تعددوا لقرائنا « معانى » هذا المهرجـان وما تنوون القيام بـه فى السنة المقبلة فى هذا الميدان ؟

من برنامجنا ان يشجع على عقد مباريات فولكلورية جهوية تختم كل سنة باصطفاء نخبة فى المستوى القومى . ولتحريك الجماهير ودفعها بقوة فى هذا الاتجاه اقامت كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار مهرجان الفنون الشعبية الذى انعقد بمدينة طبرقة فى الصيف الماضى تحت شعار عيد المرجان ٠

ويجب ان اعترف ان هذا المهرجان كان لـه الفضل فى لفت الانظـار الى المشكل ٠ اما بالنسبة الى المحتوىفيعتبر محاولة احصاء واستعراض لامكاناتنا الفولكلورية ، لا غير ٠ والعمل الحقيقى يبدا الآن لاعداد المهرجان القادم ٠

على انا اردنا من السنة الاولى فتح النافذة على العالم الخارجي لاعتقادنا ان تجارب اشقائنـا واصدقائنا قد تفيدنـا ، ولاعتقادنا ايضا ان العمل الثقافى يجب ان يتسم بالشمول ويتجاوز حدود القوميات واللغات .

وقد لبت دعـوتنا فى هذه السنة الجمهوريتان السوريـة والسودانيـة ، وشاهدنا ما وصل اليه اخـواننا فى سوريا بعد تجربـة لم تتجـاوز السنتين ـ على ما نعلم ـ ٠ وشاهدنا كذلك الـوانا من الفولكلور السودانى ومـدى تجاوب الجماهير الشعبية معه ٠

ولئن لم يلب اخوان كثيرون الدعوة التى وجهت اليهم ، لعدم انصراف الاهتمـام عنـدهـم الى هـذا الميـدان ـ غـالبـا ـ فـانى اعتقـد ان البـــادرة التـونسيـة سوف تنشط جهودهـم . ونـرجـو ان يتسع عدد المشاركين فى السنة المقبلة حتى تتم عملية التلاقح والتآخى التى هى عماد الصفاء والمحبة بين الشعوب ٠

وأملنا وطيد فى ان تكون تونس قادرة بعد مدة غير طويلة على المشاركة فى مهرجانات دولية ، اذ نحن نعمل الآن على ايجاد فرقة للفنون الشعبية متالفة من عناصر فتية نظيفة يتولى خبراء من ذوى الكفاءة تعليمهم وتدريبهم

10) واخيرا هل لكم سيدى كاتب الدولة ان تبدوا رايكم فى منزلة الاديب فى هذه الديار وفيما يمكن ان ينجـز للاخذ بيده والتقدم بالادب التـونسى خطـوات الى الامـام ؟

قد يخيل الى الناظر فى اوضاعنا ان منزلة الاديب ـ المفكر المؤلف ـ قد

تضاءلت منذ انحصلنا على استقلالنا واعلنا حربا منظمة على التخلف الاجتماعى والاقتصادى ·

وصحيح ان دور الادب كان اكثر ظهورا وبروزا قبل الاستقلال ، اذ كان الخنق الاستعمارى لا يترك لنا من سبيل للتعبير عن كياننا غير الطرق الادبية · وصحيح انا الآن قوينا على طرق اخرى اكثر نجاعة فى التعبير عن الذاتية كبناء المجتمع الجديد وتركيز العدالة على اسس اجتماعية واقتصادية ، والقضاء على الجهل واسباب الانحطاط ·

ولكن ، هل معنى ذلك ان منزلة الاديب قد حقرت او فقدت من اهميتها ؟ وقد اشرنا فى الجواب عن السؤال السابق الى ان النمو الاقتصادى والفنى يحتم علينا ان نحتاط له حتى لا يتم على حساب الشخصية الفردية والذاتية الاجتماعية ·

فالاشتراكية التونسية مبدؤها الاساسى تحقيق النمو الكامل لجميع القوى والقضاء على اختلال التوازن مهما يكن نوعه ·

لذلك نعتقد ان رسالة الاديب لا تزال قائمة ، بل هى قد ازدادت اهمية اذ اصبحت صنو الرسالة التقدمية وفرعا من النهضة الشاملة التى نروم تحقيقها·

ولن نبنى الثقافة المغربية التى اشرت اليها فى مستهل هذا الحديث الا اذا نشطت الهمم وتنفست الاريحية الحق ·

اما الاخذ بيد الاديب فلا اظن ـ بعد البيانات التى سلفت ـ ان هذا السؤال هو الذى يجب ان يطرح بل ينبغى التساؤل عما اذا كان الاديب فى هذه الربوع قادرا على تحمل رسالته وعلى الصعود الى مستوى التاريخ ؟

محرابـــــــــك ...!

«الى روح من افتقدت : ابن ليلته»

للشاعر الهادي نعمان

مِحْـرَابُـكَ اللَّيْـلُ أمْ ضَجَّتْ بِـك ألحَان ؟
هِيَ الصَّبَـابَـاتُ إيمَــان وكـفْـرَانُ

لَهْفِـي عَلَى القَلْبِ إنّ ألحَـانَ قَـد نَفَـدتْ
مِنْهَـا المُـدَامُ وَهَـذَا القَلْـبُ لَهْفَـانُ

هِـيَ الصَّبَـابَـاتُ آمَـال مُجَنَّحَـةٌ
وَوَاقِـعٌ شَـائِكٌ وَالحُلْـمُ مُـزْدَانُ

هِـيَ الصَّبَـابَـاتُ مَـا تَنْفَكُّ هَازِجَـةً
لَكِـنْ يُصَادِمُهَـا يَـأس وَخُسْرَانُ

تَنَـاقُضٌ وَأحَـاسِيـسٌ مُعَـرْبِـدَةٌ
تَبْغِـي الخَـلاَصَ. لَهَـا لِلخَيْرِ تِحْنَانُ

تَهْـوَى الحيَـاةَ جَمَـالا لَـنْ تُشَوّهَـهُ
سُـودُ المَـآسِـي وَآلامٌ وَحِـرْمَـانُ

هِـيَ الصَّبَـابَـاتُ كَأس أتْـرعَـتْ أمَـلا
هِـيَ الصَّبَـابَـاتُ أشْوَاق وَألْحَانُ

يَحْـدُو بِهَـا الهَـاتِفُ السَّكْرَانُ مُنْدَفِعـا
وَكَـمْ تَغَنَّـى أغَـانِي الحُبّ سَكْـرَان

أيَرْتَـوِي عَـاشِـقٌ مَا انْفَكّ يَعْبُـدُهَـا
دُنْـيَـا تُجَمِّلُهَـا بِالسِّحْرِ ألْـوَانُ

دُنْيَا مِنَ الحُبِّ دُنْيَا الشِّعْرِ فِي صُوَرٍ
مِنَ الجَمَالِ . وَكَمْ قَدْ حَنَّ وَلْهَانُ

أحِبُّهَا صُورَةً أهْفُو لِبَهْجَتِهَا
أحِبُّهَا رَوْعَةً وَالحُسْنُ رَيْعَانُ

الكَأسُ أجْلُو سَنَاهَا فِتْنَةً وَرُؤًى
سَكْرَى تُنَادِمُهَا عَطْشَى وعَطْشَانُ

وَالحُبُّ بَيْنَهُمَا فِي أوجِ طَفْحَتِهِ
وَالحُبُّ مَأسَاتُهُ بُعْدٌ وَهِجْرَانُ

.... وَذَاتِ أمْسِيَّةٍ عَرَّجْتُ مُلْتَمِسًا
سَلْوَايَ عَنْ وَاقِعٍ تَحْدُوهُ أشْجَانُ

عَرَّجْتُ مُلْتَمِسًا رَوْحًا وَتَعْزِيَةً
عَمَّا ألاقِي . وَهُدَّتْ فِيَّ أرْكَانُ

أرَى حُبَابَ الطِّلاَ أنْسَى بِهِ زَمَنًا
فِي شَاطِىءِ البَحْرِ لاَ حِقْدٌ وأضغانُ

حَيْثُ الصِّبَا فِي الرِّمَالِ البِيضِ مَرْتَعُهُ
وَحَيْثُ يَسْبَحُ طَيَّ المَوْجِ إخْوَانُ

أشْوَاقُهُمْ لِلْعُلا فِي صَفْوِ نَفْسِيَةٍ
تَسْمُو فَيَغْمُرُهُمْ بالخَيْرِ إيمَانُ

مَلاَعِبُ لَمْ تَكُنْ يَوْمًا سِوَى أمَلٍ
إلَى الحَيَاةِ وَمَا إنْ ضَاقَ مَيْدَانُ

دَخَلْتُهَا إنَّهَا الحَانُ التِي عُبِدَتْ
مُنْذُ القَدِيمِ لِكَيْ تُجْتَثَّ أحْزَانُ

دَخَلْتُهَا حَامِلاً شَوْقًا لِتَسْلِيَةٍ
عَمَّا طَوَتْهُ لَدَى النِّسْيَانِ أكْفَانُ

لَوْ لَمْ نَعِشْ بِالسُّلُوِّ الحُلْوِ فِي زَمَنٍ
مِنَ الحَيَاةِ لِيُجْلِي الهَمَّ نِسْيَانُ

لَوْ لَمْ نَعِشْ هَكَذَا لانقَضَّ مُطْمَحُنَا
إلى الحَيَاةِ وَهَدَّ العُمْرَ بُرْكَانُ

... دَخَلْتُهَا طَالِبًا نِسْيَانَ تَجْرِبَتِي
لَدَى الوُجُودِ. فَلَيْتَ النَّاسَ مَا كَانُوا

وَلَيْتَ هَذَا الوُجُودَ الرَّحْبَ مَا عُرِفَتْ
فِيهِ الحَيَاةُ فَلاَ دَهْرٌ وأَكْوَانُ

وَلاَ الْتِذَاذٌ عَمِيقٌ بَعْدَهُ شَجَنٌ
وَلاَ حَيَاةٌ وَلاَ مَوْتٌ وَعِمْرَانُ

وَلاَ انْتِحَارٌ لِمَنْ قَدْ هَدَّهُ زَمَنٌ
وَلاَ تَسَابُقُ دُنْيَا وَهْيَ أَدْرَانُ

وَلاَ اخْتِنَاقٌ لِمَوْلُودٍ عَلَى عَجَلٍ
مَا إِنْ بَدَا لِلدُّنَا ضَمَّتْهُ أَكْفَانُ

مُتَّعْتَ بِالتُّرْبِ يَا ضَيْفًا بِلَيْلَتِهِ
مَا إِن تَنَفَّسَ حَتَّى قِيلَ: جُثْمَانُ

.... دَخَلْتُهَا فَتَرَاءَتْ فِي مَحَاسِنِهَا
قَدْ بُدِّلَتْ. طَوَتِ الاحْلاَمَ أَزْمَانُ

مَنْ هَذِهِ؟ وَهْيَ تَسْقِي الشربَ ما عَرَفَتْ
أَنِّي أَنَا كَمْ تَغَنَّى تِلْكَ وِجْدَانُ

تِلْكَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي مِثْلِ حَالَتِهَا
رَمَادُهَا إِنَّهُ بِالامْسِ نِيرَانُ ....!

أَيْنَ الشِّفَاهُ الَّتِي كَالخَمْرِ حُمْرَتُهَا؟
وَأَيْنَ جَفْنٌ شَدِيدُ الوَقْعِ نَشْوَانُ؟

إذَا نَظَرْتِ آنْتَشَلْتِ آلقَلْبَ مِنْ حَزَنٍ
دَاجٍ فَيَهْتَزُّ شَوْقًا وهْوَ هَيْمَانُ

وَأيْنَ جِيدٌ لَهُ سِحْرٌ تُدَغْدِغُهُ
خِصَالُ شَعْرِكِ يَغْفُو وَهْوَ يَقْظَانُ؟

وَأيْنَ خِصْرٌ يَهُزُّ الصَّدْرَ فِي رَجَجٍ ؟
فَيَسْتَفِزُّ طَرِيحَ الحُبِّ رُمَّانُ

تِلْكَ النُّعُومَةُ مَاذَا قَدْ ألَمَّ بِهَا ؟
يَا شَرَّ عَصْفٍ تَدَاعَتْ فِيهِ أغْصَانُ..!

وَأيْنَ أنْشُودَةٌ قَدْ كُنْتُ أنْشِدُهَا
"... أبُثُّكِ الشَّجْوَ فَلْيَرْقُصْ بِكِ البَانُ".!

كَأنَّنِي مَا تَغَنَّيْتُ الهَوَى طَرَبًا
فِيكِ وَلَا قَدْ تَمَلَّى الحُسْنَ وَلهَانُ!

لاَ. لاَ نَسِيتُ عُهُودا إنَّهَا عَبَرَتْ
فِي خَاطِرِي وفُؤَادِي الدَّهْرَ غَرْثَانُ

إنِّي وَفِيٌّ لِأمْسِي رَغْمَ تَجْرِبَةٍ
ضَجَّتْ بِأثْقَالِهَا فِي السَّيْرِ أوْزَانُ

وَوَزْنُ شِعْرِي يُسَلِّينِي وَيُنْجِدُنِي
إلَى التَّأسِي فَيَحْدُو العُمْرَ سُلْوَانُ

تِلْكَ الحَيَاةُ.. كَمَا أنْتِ التِي ظَهَرَتْ
فِي زِيِّ طُهْرِ مَلَاكٍ وَهْوَ شَيْطَانُ

ألَمْ أقَدِّمْ لَكِ الإخْلَاصَ تَجْرِبَةً
لَكِنَّمَا هَكَذَا الانْسَانُ خَوَّانُ

شِئْتِ ابْتِعَادا فَشَاءَ الدَّهْرُ فُرْقَتَنَا
وَصُدْفَةً حَيَّتِ الاجْفَانَ أجْفَانُ

إنـي أراك فأحيا بالشباب منى
بالذكريات. وملء القلب أدجان
كمثل ما كنت بل قد زدت تجربة
صبر وعزم وإخلاص وإيمان
الورد يدفق رغم الشوك منتشرا
حتى يمتع بالريحان بستان
تحولت كل آمالي الى أفق
أعلى وأسمى فلا يغررك تحنان
أعيش للغير حبا في مطامحهم
أعيش كي ترتقي للمجد أوطان
أعيش للوطن الغالي أقدسه
كما تقدس أديان وأوثان
أعيش للناس فكرا في خواطرهم
فليسعد - الدهر - بالاخلاص إنسان

* * *

.... وشف عني الدجى عن هاتف هزج :
محرابك الليل أم ضجت بك ألحان ؟؟

— الهادي نعمان —

جنـــان بنـــت الــــري

أقصوصة بقلم : البشير بن سلامة

فتح علي عينيه ونظر حوله في ضعف وإعياء. فلم يتبين شيئا. لكأنّ الغرفة سكنتها أطياف وظلال : هي صورة من نفسه فتح فيها عينيه لينظر بحثا وتقليبا. وأغمضهما في بطء وحذر وحاول أن ينظر في نفسه لعله يُلمّ بكيانه، بفرديته : فلم يعرف أهيَ غيبوبة أم بقية نوم ؟...

وتقاوى وفتح عينيه، فاتضحت له معالم الاشياء بحدودها وأوساعها قد تقلّصت عنها الظلال وتبخرت بينها الاطياف : غرفة العائلة كما عرفها منذ ثلاث وعشرين سنة : دكّان وجرار، وآنية منها المعلق ومنها الملقى، وثياب مكدّسة أو متَدَلِّية من السقف. هي نفس الغرفة التي سمع منها، منذ ستّ عشرة سنة، صوت النائحة تندب أباه : لم يغيِّر منها الزمان شيئا ولا حوّلها عن وظيفتها : قرار واستقرار وترفُّق وأناة.

وأنست عيناه النور الخفيف المنبعث من الباب لم يُحْكَمْ غلقه، فتحوّل نظره اليه، ووقع على رؤوس الدجاج تظهر وتختفي من فُرْجَتِه وكأنها تريد أن تتطلع إلى ما في نفسه، وأن تفهم عنها ما عجز هو نفسه عن كشفه. وألقى نظره من فوق رؤوس الدجاج، فظهر له جانب من الزريبة: غبار وحصى، وأرانب ودجاج، وجمل وحمار. لكأنّ سفينة نوح أرست فلم يُبْلها الزمان ولاتحوّل عنها ركابها : قرار واستقرار وأزل في أبد.

فأغمض عينيه، وتحرّك، ومدّ رجليه فاصطدمتا بالجدار، فتيقن أنه لم يبق ذلك الطفل الصغير سمع النائحة تندب : وأحسّ برجليه أنْ لاقرار ولا استقرار، فجزم بأن الزمان تحوّل وامتداد. ونظر من جديد قريبا من الحمار فلم يتبين الا نصف عجلة دراجته ساكنة، مطمئنّة. عند ذلك رجع الى ذاكرته يبحث عن سبب وجوده في هذه الغرفة وقد فارقها هي وقريته منذ سنوات.

وتحرّك في فراشه ينشد الطمأنينة فأحسّ بالالم يطغى عليه وجسّ أعضاءه فظفر بالجروح والكدمات. وانقشعت الغيبوبة وأفاق وهمس بينه

وبين نفسه «كنت البارحة ضحية الاسد نعم ضحيته «الاسد» في قريْة ولدت فيها، ورافقت الزمان بها، واستقرّ بها أهلي وقرت نفسي بها وغبت عنها كارها مكرها، ورجعت اليها آملا مختارا. كنت فيها ضحيَّة "الاسد" بين أهلي وعشيرتي والزمان.»

وجمد بين عينيه شريط رحيله إلى قريته متقطِّع الحلقات مشوّش المشاهد باهتا ميتا كالزمان في بلدته :

* * *

«رأى نفسه يغادر سوسة على دراجته بعد أن وضعت الحرب الاولى أوزارها وأطلق سراحه من الجندية. ويتوجه إلى قريته مسرعا إليها مؤمنا بنفسه وبتجربته : ثلاث سنوات عرف فيها الحياة، وآمن بالعمل، وذاق ثمرة الجهد.

ويسير وعجلة الدراجة تدور وشريط أفكاره يتحرك بسرعة. كله توق وأمل واندفاع : سيطالب بقسطه في الارث. لن يرضى بالبقاء تحت الحجر. ان الزمان قد تطور فلن يستكين في المستقبل إلى عمه وسيتزوج الفتاة التي أحبَّها وأنكرها قومه. انَّه سيهزّ الحياة في بيته ويجعلها تدور كعجلة دراجته. وينظر اليها وهي تطوي الارض وتقربه من قريته حينا بعد حين. ويصل الى الربوة المطلة على بلدته : أطلال للرومان قبع فيها الزمن وسكن فيها القرار فاطمأنت ولا حياة، ويسير ببطء ينظر الى بلدته عن بعد هادئة كعهده بها رضيَّة غبراء ساكنة وإذا بشبح ينطلق من بين الاطلال ويقفز في اتجاه علي، فيفقد علي توازنه ويسقط فيسمع ضحكات مسترسلة كنبيب تيس فيها بحَّة الصدى، ويتبيَّن صوتا يقول :

– يَا عَلي تِقْلِبْت... يَعْطِيكْ السَّلامة.

ويعود الضحك فيرفع علي رأسه وإذا به أمام سيدي عمَّار وليّ القرية : وجه أغبر أكلته لحية شعثاء وخطها الشيب، وجسم نحيل غطته بعض الاسمال وسواد مفرط غطَّى سمرته وباقة من الفلّ سدّت ثلث وجهه، ذابلة مشوشة. فلم يجد علي ما يقول وينظر إليه ويخاطبه مستفسرا

– يا سيدي عمار آش تعمل هنا ؟

وكأنّ الولي استغرب هذا السؤال فينظر وكأنه ينظر بعين الزمان وينطق وكأنه ينطق بلسانه :

– انْعِسْ عَلَى جَنَانْ بِنْت الرّيْ

ويتذكر علي سيدي عمار ولزومه لهذه الاطلال كأنه يحرس فيها شيئا عزيزا عليه ويتذكّر الكرامات التي اشتهر بها ولكنه أصبح الآن لا يصدق بها ورغم ذلك فقد بقي في نفسه اجلال لسيدي عمار كاجلاله لهذه الاطلال فينفض عنه الغبار ويصلح من حاله ويركب الدراجة فيصيح به سيدي عمار :

– ياعَلِي مَاتِجْرِيش ْتَوّهتِتْكَسَّرْ كَرَايِمِك ابْكَرَ وسِتْ الرّيحْهَذِى

ومضى علي ولم يلتفت ذاكرا حادثة اعتزال هذا الولي : لقد كان راعيا هاج عنده البقر يوما فتركه ومضى وسأله الناس فقال :

– كِيف كَان بَعْقُلو سَرَحتْ بيه أما توّه يِزِّي فيهِ الْبَرْكَة».

* * *

وتململ علي في فراشه وأحسّ بقواه تضعف شيئا فشيئا وبالالم يزيد فتغلب على نفسه وعاوده تفكيره في رحيله :

* * *

«فرأى نفسه يدخل بلدته آخر عشي ويسير ببطء وينظر من حوله الى الفلاحين مسرعين الى ديارهم فيشعر بأنه غريب بينهم وهم أيضا يستغربون دراجته فيسلمون عليه ولكنه يسير فيدرك قريبا من أقربائه راكبا حماره ووراءه إمرأته ماسكة بذيل الحمار تهرول فيُوقفُ دراجته ويقف الحمار، فيلمح على ساعة شدت الى رقبة الدابّة فيستغربُ الامر ويسلم على قريبه الذي بادره قائلا :

– تِستَغْرَبْ هَا الْمُنْقَالَهْ في رقبة الْبَهِيم ؟

– ...،...

– تِي بَعْدَهسِي الْهِرِلّي الْعَصَّامْ شَرَى مُنْقَالَهْ وَنْهَارْ كَامِلْ وُهُوَ يَخَرّج فِيهَا لِلنَّاس ْوِيِنْشِدْ فِيهِمْ عَلَى الْوَقْتْ وحتّى حَدْ مَا نَجَّمْ يَدلُّو. عَادْ مَانِي نِشْرِي لِبهِيمِي مُنْقَالَهْ أنَا زَادَهْ. وَنْقُلْلك الحَقِيقَهْ راهُو بَهَيّمِي هَذَا أذْكَى بياسِرْ مِنَ الْهِرِلّي. مَا رِيتُو

حتَّى مرَّة ينشدْ النَّاسْ وهَاهُوكهْ يَخزُرْ وحْدُو بالسَّاكتةْ مَا يقَلَّقْ حَدْ.

– واللهِ حتَّى أنتْ زَادَهْ قدّاشْ تعْرفْ تبْدَدكِّكْ.

– ونقُلْ لِكْ حوَيجهْ أخرَى : المنْقَالَهْ مَا تعمْرتْشْ بالكُلْ مِنْ نهَارْ إلِّي تِشرَاتْ – تِي باللهِ آشْ تُصْلحْ هُنَا.

ويلتفت علي الى زوجة قريبه فيجدها تبتسم فيُرْدفُ الزوج :

– شُفْتْ لله الشبابهْ كيفاشْ شَادهْ بعَبُوص البْهيم. هَاهيكهْ تمْشِي مريقْلَهْ هِي زاده كالمنْقالَهْ. لُو كانْ ريتهَا توّهْ النّهَارين كيفَاشْ كَانتْ امْتلتْلةْ تِتْحدّثْ معَ النّسايَاتْ! تعْرفش علاشْ ولاتْ معَايهْ لاصْقتْنِي.

– لا مَا نعْرفْشْ.

– نحّيتلْهَا الحلِي متَاعهَا الكُلْ وخلّيتهَا زبنْطُوطهْ حتّى ولاتْ مَا تلْقَى مَا توَرّي للنّسَاءْ. هَاهيكهْ شَادهْ جنْبِي توّهْ.

ويستغرب علي ما قاله الرجل كأنه نسي قريته وأهلها وينسحب مسلما وقد انطفأ حماسه وتوقف أمله كتوقف عقارب الساعة في رقبة الحمار. ويحسّ بتوقف عجلة الزمن فينزل من دراجته ويسير ثقيل الخطى منهكا ويمرّ بالشيخ "الاختل" على حمار عاج عن الطريق يأكل الحشائش والشيخ منحن لايتحرك ولا ينهره وقد تزحزحت البردعة حتى وصلت رقبة الحمار ويتذكر أن الشيخ رفيق بالحيوان وانه يترك حماره يفعل ما يشاء لا يهمزه ولا يكلمه فلا يهمّه متى يصل المنزل. وهل يعرف الشيخ "الاختل" الْمتَى ؟

ويحسّ بالنّدم يتطرق اليه فيُثقل خطاه ويودّ لويرْجِعُ أدراجهولكنّ أصواتا رفيقة وهينمة ليست ببعيدة تطرق سمعه فيقشعر بدنه ويتوقف قليلا وإذا به يرى في أقصى الشارع جمعا غفيرا يتقدّم في بطء أمامه رجل ذو وقار عمامته كبيرة أحنتْ رأسهوجبته مطرزة أشنع تطريز وشارباه طالا فأوقفهما فانطلقا من وجهه كسهمين. ويقترب علي من الجمع فيتعرف الى القوم فإذا هي "حضرة بن عيسى"أعلام صفراء وحمراء وخضراء تخفق فيها أهلّة وتصاوير شتى وتمائم عظيمة تتدلى وصفوف من البشر متراصّة متقدّمة تنحني في تؤدة على نغمات "الدربوكة" و"البنادر". النقرات رفيقة بطيئة

والرّقصات موقّعة مُنَغّمَة، والقوم يتطاولون حينا فيقفون على أصابعهم وينحنون حينا آخر انحناءة طويلة عنيفة تختلط فيها «شَرّابات» شاشياتهم مع شواربهم المفتولة ومن ورائهم قدماء "الحضرة" يغنون في أصوات رهيبة، غليظة، نابية :

— يـا محمد يا بن عيسى يا مو لى مكنـاس.

ويقترب القوم من منزل من المنازل. فيقفز "فَحَلْ بن عيسى" أمام الناس جميعا ويخرج يديه من طوق جبته ويصفق صائحا: "هَوّد" فتصيح "الزكرة" وتسرع الضّربات على "الدّرْبُوكَة" و"البَنادرْ" وتتغيّر النّوْبَة وتشْتَدّ الرّقْصَة، ويدخل القوم المنزل وهم في «هيضتهم» وقد انخرمت الصفوف وتشَتّتَت الجموع ويدخل عليّ وقد جرفه السيل وخلّصه من درّاجته. حينذاك تشتدّ الضجة وتتعقد مهمة "شاوش الحضرة" فهو يهدّىء هذا ويعين ذاك : هذا آكل العقارب يكشر عن أنيابه ويقفز قفزات مريعة تشجعه عليها "البنادر" و"الدربوكة" حتّى يدبّ فيه التّعب فيقترب "الشاوش" ويهمس في أذنه همسات ويتفل على جبينه فيهدأ. وذاك تأخذه الرقصة فيأخذه الشاوش ويدخل في خدّه مخيطا يخرّجه من الخدّ الآخر فيمسكه صاحبه بأسنانه ويدور دورات حتى يلتقفه الشاوش ويجذب المخيط جذبة ويهمس همسة ثم يطلقه وديعا ساكنا.

ثمّ تختلط الاصوات وتشتدّ الضربات وتقرقع "الدربوكة" وتبحّ "الزكرة" وترعد "البنادر" وتلتف الاعضاء بالاعضاء وتصطدم الاجسام بالاجسام. فيخرج صاحب السيف كاشفا عن بطنه مُرْعدا مُزْبدا ويأخذ في ضرب بطنه بصفحة سيفه حتى يرفق به "الشاوش" فيقفز قفزة ويفتك منه "سلاحه" ويرقيه رقية تزيل "هيضته".

وينظر علي من ركن من أركان المنزل فيتذكر جعجعة الرحى تدور ولا طِحْن ويتصور الزمان في القرية يدور ولا تحوّل.

وبينما هو في خواطره غارق إذا بأوراق من "الهندي" تفرش وإذا بشخص يكاد يكون عاريا يرتفع إلى أعلى وينزل على ركبتيه متمرغا في الاشواك لا يبالي، متسلحا ببركة سيدي بن عيسى، ويتوالى القوم على زربية الاشواك متمرّغين متبرّكين، حتى يسعفهم "الشاوش" ويرقيهم ويهدّىء روعهم فيتأخرون في أسوإ حال.

ويفتر القوم وتتوالى الضربات وتبحّ الأصوات فيقفز "الفحل" وكأنه لم يفتر فيصفّق شديدا ويصوّت قويّاً فتعود الهمهمة وتشتد القعقعة وإذا بزئير يسمع وضربات تدوى فيلتفت علي فيرى رجلا يمشي على أربع يكشر عن أنيابه ويزأر زئيرا منكرا وأمامه قطعة من اللحم لم تمسسها نار يقطعها بأسنانه والناس من حوله يتدافعون خشية صولته وخوفا من قفزته. هو "أسد الحضرة".

ويتملك علي الاستغراب فيخرج "سفيرة" ويشعلها. وإذا بالمقدم يخرج عن وقاره ويمسك عصاه ويصيح :

– ياكلب... ياكلب... تتكيف... ارمي السيڤارو.

وينزل على علي ضربا. فتتحوّل أنظار القوم ويزمجر "الاسد" ويقفز ويطرح عليّاً أرضا ويشبعه عضا ولكما حتّى يغيب عن الوجود».

* * *

وأفاق علي ونظر حوله ثم تحامل على نفسه وقفز قفزة أصلح بها من حاله وخرج الى الزريبة فامتطى دراجته ومضى.

البشير بن سلامة

فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب...

"متى سمعت حفظك الله، بنادرة من كلام الاعراب، فإياك وأن تحكيها إلا مع اعرابها ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن تَلْحَنَ في إعرابها وأخرجتها مُخرج كلام المولَّدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير، وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوامّ ومُلْحَة من مُلَح الحشْوة والطَّغام فإيّاك وأن تستعمل فيها الاعراب أو أن تتخيّر لها لَفْظا حسنا... فإن ذلك يُفْسِدُ الإمتاعَ بها، ويُخرِجُها من صورتها، ومِنَ الذي أُريدَتْ لَهُ..."

الجاحظ

حب ونغم

شعر : **جعفر ماجد**

مَا بَالُ الحُبِّ يُشَرِّدُهُ ... فَالقَلْبُ تَهَدَّمَ مَعْبَدُهُ
كَلِفٌ بِالحُسْنِ يُعَدِّدُهُ ... حَتَّى أعْيَاهُ تَعَدُّدُهُ
وَغَدَا كَالبَحْرِ بِلاَ أمَلٍ ... يَفْنَى فِي الرَّمْلِ تَجَدُّدُهُ
خَبِرَ الارْزَاءَ فَمَا دَمَعَتْ ... عَيْنَاهُ وَلاَ وَجَفَتْ يَدُهُ
وَانْقَادَ الدَّهْرُ لَهُ خَجِلا ... وَالدَّهْرُ عَزِيز مِقْوَدُهُ
لَكِنَّ الْحُبَّ رَمَاهُ فَلَمْ ... يَعْسُرْ فِي النَّاسِ تَصَيُّدُهُ
يَا مَنْ أضْنَاهُ تَدَلُّلُهَا ... لَمْ يُجِد اليَوْمَ تَجَلُّدُهُ
مَا حِيلَةُ قَلْبٍ مُشْتَعِلٍ ... يُشْقِيهِ الجَفْنُ وَيُسْعِدُهُ
الدَّلُّ يَشُبُّ بِهِ لَهَبَا ... فِي الصَّمْتِ يَزِيدُ تَوَقُّدُهُ
غَنِّي فَاللَّحْنُ يَجُسُّ فَمِي ... وَالعَيْنُ تُرَدِّدُهُ
وَدَعِي الاوْزَانَ فَذَا نَغَمِي ... يَهْوَاهُ النَّايُ وَيَحْسُدُهُ

جعفر ماجد

صـــقر ســـالم الشبـــيب

بقلم : **فاضل خلف**

ليس في الارض من طريق يؤدي — سالكيه أو بعضهم للسَّعَادة
فلها اسم بين الانام شهيد — ومسمَّاه مستحيل الشهادة
ما رأينا الا شقاء عتيدا — لبني الارض كلهم أو عتادة
وعلى العلم بالشقاء ترانا — نتمنى من البنين الزيادة

لاتظنوا أيها القراء الاعزاء، ان هذه الابيات من شعر أبي العلاء المعري، وان حملت الينا روح المعري وفلسفته، بل هي في الحقيقة جزء من قصيدة طويلة نظمها الشاعر الكويتي صقر سالم الشبيب، وان استم في هذه الابيات روح المعري ترفرف بين سطورها، فهو أن شاعر الكويت تربطه بشاعر المعرة الحكيم عدة أواصر. فقد كان المعري محروما من نعمة البصر، وصقر – كذلك – محروم من نعمة البصر، وكان المعري متشائما من الحياة، متذمرا من تكاليفها، وصقر متشائم – أيضا – من الحياة وتكاليفها. وكان المعري يدعو بشدة لايقاف النسل لما قد يصيب هذا النسل من متاعب والام في هذه الحياة. ولكنّ صقرا اخف منه لهجة في محاربته، وذلك لان صقرا تزوج ولم ينجب. أما المعري فقد اضرب عن الزواج وحارب النسل. ولكن شاعر الكويت يلتقي مع حكيم المعرة وشاعرها في تخويف الناس من النسل. فصقر يرى أن الحياة كلها شقاء لبني الارض وبرغم علمهم بالشقاء واكتوائهم بعذابه فهم يطلبون المزيد من البنين..

وهنا تعترض الشاعر المفكر معضلة كبيرة، وهي أن الوالد يحب أولاده ويتمنى لهم كل خير، فكيف إذن يخرجهم الى الحياة، وهو يعلم علم اليقين بان هذه الحياة دار شقاء ليس فيها سعادة ولا هناء فالوالد اذن مبغض

لاولاده عندما يقذفهم في عالم الشقاء، وهذا تناقض واضح ليس بعده تناقض انه تناقض بين الحب والبغض، ثم يتعمق شاعرنا صقر سالم الشبيب في فلسفته فيقول — ان كان هذا الوالد يحب أولاده حقا وصدقا، فلماذا — اذن — يخرجهم الى الحياة القاسية وهو نفسه متذمر من هذه الحياة ويود الخروج منها بكل ما لديه من طاقة وعزيمة :

أمحب أولاده الوالد المسكين	أم كان مبغضا أولاده
ان يكن والد البنين محبا	فلماذا قدفك باب الولاده
وهو باب مُذ مَرّ منه الى الدنيا	تمنى في وجهه إيصاده

ثم يستمر صقر في تساؤله فيقول : — أيود هذا الوالد المحب لاولاده ان يرى أبناءه الاعزاء يتقلبون في الشقاء ويشكون من متاعب الحياة وان كان هذا الوالد يبغض أولاده قبل أن يأتوا الى الحياة فاسألوه عن سبب هذا البغض وهم لم يسيئوا اليه ولم يؤذوه، بل انه لم يرهم ولم يروه. والانسان انما يبغض الذين يبغضونه وينال منهم الاذى والعذاب، اما الذين مازالوا في عالم الغيب فكيف ولم يبغضهم ؟

أفيرضى المحب أن ينظر المحبوب يشكو	من الشقاء اشتداده .
أويكن حاقدا يريد انتقاما	فسلوه ماذا نما احقاده ؟
انما يحقد الحقود على من	قد رآهم بين الورى أضداده
وبنوه في عالم الغيب لم يأتوا	بأمر يسوء منه فؤاده

انني إذ اكتب اليوم عن الشاعر صقر سالم الشبيب، وهو ما يزال في عالم الحياة فانما أريد أن أكرم شاعرنا وهو حي يرزق لانه ليس في ملتي ولا اعتقادي أن يكون التكريم للاموات من الأدباء والشعراء والفنانين فحسب، بل يجب أن ينال هؤلاء المواطنون المخلصون نصيبهم من الاكرام وهم بين ظهرانينا. واذكر أن صديقا أديبا قال لي عندما علم بأنني سأكتب عن شاعرنا صقر، (إن هذا الشاعر ما يزال في عالم الاحياء) فكأن الاديب الحي يجب أن نتناساه وينال من عقوقنا الاذى والعذاب، وكأن الاديب الحي يجب أن يهمل ويبقى منبوذا حتّى تُطوى صفحته من هذه الحياة ويصبح تحت طيات التراب وعند ذلك فقط يستحق منا التقدير والاعجاب وغاليات الدموع.

إن الاديب في نظري يجب أن يكرم في هذه الحياة اكراما ماديا

وأدبيا على ما أسدى لبلاده من خدمات جليلة في ميادين الادب. لكي يشعر بالتقدير الحق فيواصل الجهود وينتج المزيد من أعماله الادبية. اما اذا أحس بالاهمال والعقوق ولم يجد أي صدى لمجهوداته الادبية فانه يعتزل روض الادب ويبتعد عن المجتمع فيخسره الادب ويخسره المجتمع، وكم يدركنا الاسف الآن أن نرى هذا الشاعر قد اعتزل المجتمع وقبع في ركن من أركان بيته منذ أكثر من عشرين سنة وأخذ يردد :

ولما لم أجد في الناس حرا … يعين على ملمات الدهور
نبذت الناس ظهريا ورائي … وناديت المنون الا فزوري
فمثلي ماله في العيش خير … وهل في العيش خير للفقير
أخاف اذا بقيت تذل نفسي … على طمع لذي مال كثير
فتمنحها مدائحها اللواتي … تعز على الفرزدق أو جرير
ولكني كما سميت صقر … وهل أبصرت ذلا في الصقور

لا شك أن الاديب أو الشاعر يحتاج الى الابتعاد عن المجتمعات في كثير من الاوقات لكي يتفرغ للخلق والانتاج، ويكون بمنأى عن المجاملات والهذر التافه الذي يدور في المجالس الخاصة والعامة. ولكن العزلة التامة لاتساعد على الخلق والانتاج بل هي على العكس : انها تخمد الجذوة المتقدة من المواهب في الاديب أو الشاعر وتمنعه من التطور ومسايرة الزمن . وقد اعتزل شاعرنا المفكر الناس اعتزالا كاملا حيث اخفق أبو العلا المعري لان أبا العلا لم يستطع اعتزال الناس اعتزالا كاملا فقد ألح عليه طلاب علمه وعشاق أدبه في الدخول عليه للاستفادة منه فلم يستطع ازاء هذا الالحاح الا الموافقة على ما طلبوه. فاقتحموا عليه عزلته وأخذوا يستفيدون من دروسه في الادب واللغة والفلسفة. أما شاعر الكويت صقر سالم الشبيب فيرد على طلاب علمه وعشاق أدبه فيقول :

قالوا اعتزلت الناس قلت لانهم … جروا على المحزنات صنوفا
لولا مخالطتي البرية لم يكن … قلبي لذؤبان الهموم خروفا

وفي رأيي أن شاعر الكويت لوفتح بابه لطلاب العلم كما فعل فيلسوف المعرة، لما وجد أحدا من هؤلاء يجر عليه صنفا واحدا من المحزنات بل لوجد من هؤلاء الطلاب من يعينه على ملمات الدهور وعلاج الهموم. ولكنْ إن يكن صقر قد اعتزل الناس وأوصد بابه في وجوه عشاق أدبه

وطلاب علمه فقد أدى واجبه خير أداء في أيام شبابه اذ كانت له في خدمة المجتمع أيـاد بيضاء ، وكان يحمل لـواء الاصلاح مع الرّعيل المصلح الاول وقاد الحركة الفكرية في الكويت الى أن رأى أبناء الوطن يجنون ثمراتها الشهية . وقد سجَّل الشيخ عبد العزيز الرشيد في تاريخ الكويت سيرة شاعرنا صقر بمداد من المفاخر والمكرمات ، ووفـاه حقـه بمـا هو أهلـه . وقال عنه الشيخ يوسف بن عيسى:

أيـا صقر الحجـا وأديب قـومـي   وشـاعـرهـم بـاقـرار العمـوم

وشـاعرنا، صقر سالم الشبيب ، علائي فقد البصر في سنيه الاولى، لذلك فهو يحتـاج الى مزيـد من الرعـاية والعناية مـن مواطنيه الاعـزاء. ولـم يتوان اخوانه المخلصون وعشاق فلسفته وأدبه عن القيام بواجبهم تجاهه ومن هؤلاء ، الربـان الكويتي الاديب عيسى عبد الوهاب القطـامي. فقد كان القطـامي لصقر كالوالد الشفوق يحبه ويتفقد أحواله ويعينه على متاعب الحياة وقسوة الايـام. وصقر يحفظ الفضل لاهله ولا ينسى جميل أصدقائه ومعروفهم. وفي هذه الابيات دليل صادق على حفظ الجميل ورعاية العهد، وقد نظمهـا شاعرنا عندما سافر المرحوم عيسى القطامي الى بغداد لطبع كتابه "دليل المحتـار في علم البحـار" قال:

يقولون لي في وجهك الحزن قد بدا   وفيه لنـا لاح التضجـر يـا صقـر
فقلت لهم عيسى القطامي عــــازم   عـلى سفـر فالقلـب مني بـه جمـر
وهل لي سوى عيسى اذا الضر مسني   بلقيـاه عنّي ينجلي الهـم والضــر
وهـل بعد عيسى الحر لي من مؤانس   واندر شيء في الانام هـو الحـر
ومـن ذا سواه ان شكوت أعانـنــي   وان أهف وافاني ولي عنده عــذر
فكـم من جميـل جـاءني منه كامـــل   يحف بــه من طيب شيمته الشكر
كـأني الذي أسدي الصنيع وهكذا   من النـاس من تزكو خلائقـه الزهر
وكم لقطتْ أذنـاي لالاء لفظــــه   فأهـدته نحو الصدر فانشرح الصدر
ولؤلؤلفظ الحر أوفـر بهجـــــة   وأثمـن من در بـه يسمح البحـــر

فـاضل خلـف

الفــــراش والديـــــدان

شعر : نور الدين صمود

يَسْبَحُ الطَّيرُ في الفضاء ويلهو ... ويغنّي في أفقه الفتّانِ
يُرْسِلُ اللحن كالصّلاة رقيقا ... فيموج الفضاء بالالحان
ويَلُوحُ الرّبيع في لحنه البسّامِ ... بُشرَى للعالمِ الهيمان
وتَهُزّ الزهور والنحل والاطيارُ ... قلبَ الرّبيع في نيسان
فيَهُبّ الرّبيعُ للّحن فيضا ... من شباب ونفحة من أمان

* * *

وتجول الحيتان في البحر نشوى ... بين دُرّ مُنَضّدٍ وجُمَان
إن تيه الطيور في مَهْمَهِ الجوّ ... لابهى من جوهرٍ الحيتان

* * *

والغُرابُ الحقير يلتقط الدّودَ ... ويرضى في عيشه بالهوان
ورفيق الغراب بُوم حقير ... ودّ لو لَمْ يَعُدْ الى الطّيران
واستطاب الخراب والظلمة الدكناء ... أقبح بالبوم والغربان

* * *

والفراش السعيد يغمره النُّورُ ... فيقضي في فتنة الولهان
إن موت الفراش في غمرة النور ... لاشهى من عيشة الدّيدان

* * *

وتُهِينُ العذراء عِرْضا (نقيا) ... وتَدُوسُ الحيَاءَ دوْسَ امتهان
أو تبيع العفاف في غفلة الاهل ... فتخزى بأبخس الاثمان
وهْي عند الجميع بِكْر وان ـ هانت ـ ... فبئست بَكارة الادْران

* * *

رُبّ قلبٍ لمُومنٍ هو أنقَى ... من قلوب المحصّنَاتِ الحسان

نور الدين صمود

قصـــــــعة صـــــــبرة

اقصوصة بقلم : **الطاهر اللبيب**

كانوا يسمّونها "الولية هنية" لان أحد الشبان في القرية قتل دجاجتها الوحيدة التي عقدت عزمها على أن تقدمها "وَعْدَة" إلى سيدي عبد القادر الجيلاني، فكشفت رأسها، وشوشت شعرها المحمر بالحناء، وكأنها تذروه، وضربت بكفيها على ركبتيها المرتعشتين مرارا عديدة، وهي تحدق في الدجاجة المنتفضة، ثم صاحت :

– بَرّ وليدي الله يقصف شبابك... برّ وليدي انلزّك لسيدي عبد القادر إذا كانّي وليّة بقلب صافي.

ومضت ثلاثة أيام تقاطر الناس بعدها إلى كوخ "حَمَّد الشايب" يعزّونه في ابنه الشاب الذي سقط في البئر المجاور للقرية عندما كان يسقي قطيعا من الغنم، ويدعون له بطول العمر... وكانت "الوليه هنية" مركز حلقة النّادبات، تحرّضهنّ على تقشير الوجوه وتقليع الشعور وتمزيق الثياب، ونزع الحجول...

وانتشر خبر الموت وآمنت نساء القرية "بهنيّة" وليّة لايسقط دعاؤها على الارض. فأصبحن يتردّدن على كوخها صباح مساء يحملن إليها صرر السكر ودقيق القمح والشعير لتنالهن بركتها.

وكان لها ابن وحيد ناهز الثالثة عشرة لايفارقها أبدا ويأبى أن تخلو بإحدى الزائرات لانه يخشى حرمانه من سُفّة السكر التي تعودها عند كل زيارة زائر. وكانت أمّه تخشى عليه صرد الشتاء، ولهيب الصيف اللذين يغزوان الجنوب التونسي كل عام. فتراه كامل السنة ملتفا ببرنس أسود تآكلت جنباته فظهرت تحته "بلوزه" بيضاء كادت تصبغ بلون البُرْمَةِ التي كان لايخشى أن تلامسها ثيابه وساقاه. وكان الصبية

ينـادونـه "المْخَنِّنْ" لان المخاط دومـا يابس على أنفـه. أمـا إذا سال فلسانـه يلحس بسـرعـة فـائقـة مـايجـود بـه أنفـه الكـريـم .

طلبت منه أمُّـه يـومـا أن يقـدم لنعجتهـا الهـزيلـة حفـنتين من الشعير في قصعة الطين التي يأكلان فيهـا. فقـام يفعـل ذلـك ، ولكنـه عثـر قبل أن يصل إلى النَّعجـة التـي مـدّت عنقهـا، وثغـت ثغـاء خـافتـا لا يكـاد يبين، فتكسَّرت القصعة، وولّى الطفـل غـاضبا قـد تـدلَّت شفته السفلى ومـال رأسـه، وارتفع كتفـاه كعـادتـه عنـد الغضب، يخبر أمـه بالحـادثـة ، ويسبّ حجرة العثـرة ويلعنهـا :

– يـا أمِّي هنيَّـة ! القصعـة مشـت فلـوس.

– برّ وليدي ايدُك سيـدي بـن عـروس.. يا خسارتي اللي ما كيفها خسـارة... قصعـة خيـر من مليتها ذهب.

وقـامت إلى الاجزاء تفحصهـا، ولعلَّهـا تـريد أن تجمعهـا وتـوحـِّد بينهـا بالاسمنت. فقـد سبـق أن ثلَّـم لهـا ابنهـا هذا بُرْمَـتَـهَا فارجعت إليهـا مـا انفصل منهـا بقليل من الاسمنت عثرت عليه قرب داربُنيت بجـوار كوخهـا.ولكن فزعهـا اشتدّ لمـا رأت الاجزاء صغيرة لاتجمع ولا يُوحَّد بينها فحدّقت في ابنهـا طويلا، ثم رعَّشت سبَّابتهـا مشيـرة إليه وقالت :

– امْشِ للدوّار الآخر تَلْقَـاش بيَّاع عنده قصاع نـاديـه.

انطلق "الهـادي" راكضا فرحـا لايلوي على شيء... فهو، كغيره من أطفـال القـريـة – يسرّ كثيـرا بـرؤيـة " البيـاع " ومتـاعـه...

ومـا مضت سـاعتـان حتى كـان الهـادي يسير وراء حمـار أسود عُلِّقت على جَانِبَيْـه أصنـاف من الجرار والبَواقيل، وفـوقـه القَصـاع والصحاف وصندوق صغير يسميِّه البيـاع "الحـانـوت".

وجـرى بعـض الصبية نحـو البيـاع وأحـاطوا بحماره يضعون أيـديهـم عـلى كل شيء فوقـه، وانتشر الباقون بين البيـوت يبحثون على خرق الصّوف، أو بعـض الـوبـرات حملتهـا الـريـاح، ليشتروا بهـا قطعـا من الحلـوى أو حبـات مـن العلـك... وأطلَّت النسـاء مـن اكـواخهـنّ يحملن غرابيل فيهـا قمح أو شعيـر، وفي مقـدمتهـن "الوليَّة" تحمل قرابة صاع من القمح في حجـرهـا، وهي تسبّ امرأة استعـارت منهـا غربالهـا

ولم ترجعه إليهـا . أما الهادى فقـد مسـك بذيل الحمـار وراح يمد خلسـة يده إلى "الحـانـوت" ليسرق كعـادتـه عند مـجيء كـل بيـاع ابرة وكبَّة يُخيط بهمـا ثيـابه، ولـو كـانت جـديدة غيـر ممزقة.

دنت "الولية" من البيـاع وأخذتقلب احـدى القصاع من كـل وجـوههـا، وتنقرها باصبعهـا بعد أن تضعهـا تحت أذنهـا حتـى تعرف نغـم رنينهـا وتتحقـق بذلـك من سـلامتهـا.فكـان البيـاع يكـرّر عبارة واحدة باستمرار وبدون أن يلتفت إليهـا :

– عـال العـال. أصح من الحجر ... قلت لك عـال العـال...

فتجيبه "الوليـة" وكأنهـا معتزّة بتجـاربهـا دون أن تكف عن نقر القصعة ومسحهـا براحتهـا وبلّهـا بلسـانهـا :

– أنـا جـدتي النُّوريـة الله يرحمهـا ورَتْنِي كيفـاش نشـري الفخَّار... بجـاه سيدك عبـد القـادرخلِّيني انشوف على كَيْفِي.

وطـاب لهـا بعد المسح والنقـر اشتـراء هذه القصعةالـواسعـة الحمراء، فقـرّبت رأسهـا من البيـاع حتى مس حاجبـاها البـارزان حـافـة المظلـة المصفـرّة المتآكلـة :

– هيـا قـول الحـق. هـا القصيعة قـداش تعمـل.

فأجـابهـا وهـو يـدور حـول حمـاره يخيف الاطفـال بسـوطـه :

– هـاتِي اللِّي عنـدك

أفـرغـت حجرهـا في حقة طماطم كبيرة يقسم صاحبهـا بالاوليـاء الصالحين لكل شار أنهـا تعادل نصف الصاع . وبقـي ما يقارب الحفنتين صبَّته في صندوق كبير كـاد يملؤه البصل والفلفل.

ولـم يـطـل معهـا الـبيـاع المسـاومـة لانـه سمـع امـرأة أخـرى تقـول له، وقد حـرّكت رأسهـا المغطى بقطعـة حمـراء من معجـرٍ ظهـر "جداده" الابيض :

– يـا وليدي راهي وليّـة... اللِّي يظلمهـا تـتْـيَتَّـم صغاره في مشـواره.

فلـم ينس أن يضع لهـا في قصعتهـا الجديدة قليلا من البخور،

لتدعـو له بالنجاح والتوفيق :

ـ ان شـاء الله تقصد بـاب يتحلّولك سبعـة... الله يستـرك يـا وليـدي.

* * *

أوصت "الوليـة هنيـة" ابنهـا الهـادي بالاحتيـاط والتحذّر، حتى لا تلحق القصعة بأختهـا، فحـرّك رأسـه يمنـة ويسرة ومسح أنفـه بذراعـه متمتمـا :

ـ مـا كسـّرتهـاش بلعـانـي.

فسكتت هنيهة أطرقت فيهـا مفكـرة، ثم قامت فجأة تحتضن قصعتهـا، وقصدت "قُرْبِي" المؤدب صالح تسرع في خطاهـا، وقد مسك بطـرف ردائهـا الخلفي ابنهـا الهـادي الذي ما انفك يسألهـا :

ـ فيـن مـاشين ؟ ... قـولي.

فتجيبه محـاولـة خفض صوتهـا، وكـأن أحدا يسمعهـا وهي لا تريد ذلك :

ـ أسكت يـا هادي . هـانـا قـريب نوصلو !.

وصلت إلى "القربي" فوجدت بجانب المؤدب صالح احدى الملسوعات تتخبط وتصيح :

ـ يا سيدي المدّب رانـي مـاشه نمـوت. آه يا ربي... فيسرع المؤدب في حركـة يديـه ولحس اليـراع بلسـانـه وصب المـاء في الدّواة المملوءة صمغـا. ويكتب سطرين أو ثلاثة عـلى قرطاس ابتاع فيه منذ ثلاثة أيـام قليـلا مـن السكّـر، ويطـويـه طيّـات عـدّة ثـم يمده اليهـا :

ـ حُطّي هـذا فـوق اللدغـة وسـمّي باسـم الله.

ثم يأخذ صحنا ويقلّبه فتقول امرأته التي لايخفى عنهـا شـيء :

ـ لا يا راجـل ... نظيف طـاهـر ... تـوكـل عـلى الله.

فيكتب عليه بنفس السـرعـة والحركـة : أعـوذ بكلمـات الله التّامات من شـر ماخلق. " سبع مـرات. ثم يصب في الصحن قليلا من المـاء ويمحو الكتـابة بسبّابتـه المرتعشة حتّى إذا تكدّر المـاء اقترب من المسكينة

المتخبطة وصاح في وجهها بحماس :

حلّي فمك، وسمّي باسم الله.

فتبسمل مرات متوالية ثم تستنجد بسيدي عبد القادر، ويصب في حلقها كل ما في الاناء. ثم يتأخر إلى مكانه ليستند إلى الغرارة التي نضّدت فوقها المزاود.

التفت سيدي المؤدب إلى "الولية هنية" فظن ببادىء الامر أنها أتته بطعام أو بقليل من التين إذ أنها تملك تينتين في الشّعبة المجاورة لها. وقد تعودت أن تبعث إليه في منديلها مع ابنها الهادي قليلا من التين. وغالبا ما يكون ذلك يوم الجمعة. ولكنه رأى القصعة فارغة لاشيء فيها. ولاحظ أنّها جديدة لم يبلها الماء بعد، فابتسم ابتسامة خفيفة حتى بانت بعض أسنانه السوداء المتفرّقة . وقال :

– مبروكه يا وليَّهْ ها القصيعة.

– يبارك فيك يا سويدي المدّب... هاني على كل حال جبتهالك باش تكتب على قعرها كليمة من القرعان اللي في صدرك.

يعني تحبي تنزل فيها البركة... واللِّي يأكل فيها لازم يشبع بحول الله ؟

– آيوا... هاذاك اللِّي نحب. الله يسترك بجاه الستين حزب.

ومدّت اليه القصعة فقلّبها كما قلّبتها عندما اشترتها، وشمّها مرات عديدة. فهو يعتقد أن الفخار المحروق بالنار لايكتب عليه اسم الله ورسوله . ولما تحقق أن النار لم تمسسها بعد، قرب اليه الدّواة وصبّ فيها قطرات ماء ثم حرك الصمغ بذيل يراعه ولحس بلسانه ما تعلق به ثم وضع القصعة على ركبتيه وبدأ يكتب : "نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا فلا نشبع." حتى اذا انتهى لحس مرة أخرى يراعه. ثم وضعه في الدواة واعاد للمرّة الاخيرة قراءة هذه العبارة بصوت مرتفع :

"احنْا قوم لا نأكل حتى نجوعوا وإذا كلينا فلا نشبعوا".

ومدّ القصعة الى "الولية" وهو يقول في تأثر ظاهر :

ـ هـذا حديث نبـوي شريف لسيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا النبي المصطفى الكريم. صلوات الله عليه آمين. من كتبه على قصعة أو صحن لا يَنُوضُ إلاّ شبعان فرحان هو والعيال.

فمدّت يدها إلى خُبْنَتِهَا فأخرجت خرقة مطوية بسطتها فظهر فيها بخور ومرجان وعلك وعشرون مليما علق بها بعض من العلك الاصفر مدّتها إلى سيدي المؤدب فتناولها باصبعين وكشف رأسه باليد الاخرى. ثم وضعها فوق رأسه وأرجع الشاشية التي اسودت حافتها السفلى وابيض اعلاها.

وبعد أن شكرها وتمنى لها كل خير همزت ابنها بمرفقها فانتصب قائما ورجعا إلى الكوخ وهي تحدثه عن القناعة ونتائجها المحمودة. الا أنه كان يردّد سؤالا واحدا باستمرار فيقطع كلامها :

ـ أمّي. ما عادش نجوعوا ؟

فتجيبه بسرعة وكأن سؤاله لا يضايقها :

ـ ان شاء الله ياوليدي. ان شاء الله.

ومرت ثلاثة أيام وجاء يوم الخميس وهو يوم "سوق القرية" يتجمع فيه السكان للبيع والشراء، ويقدمون فيه شكاواهم إلى السلطة المحلية وخصوصا شيخ التراب.

وذهب الهادي إلى السوق ليتمكن وقت الزحام من اختلاس كمشة من الفول اليابس يقليها عند رجوعه. أما "الولية" فقد شرعت منذ الصباح في تنضيد المزاود وترتيبها ورتق بعض الثقب التي يحدثها الفأر في كل ليلة، حتى كان الضحى موعد الغداء في الصيف، فقامت تعدّ جبياء قبل أن يعود الهادي فيغضب ويثور ويشتت ما نظمته من المزاود والمتاع. ولكنها قبل أن تشرع في الاعداد فوجئت برجل يقترب من الكوخ له شعر طويل يغطي أذنيه وقافيته ويتدلىّ على جبينه فيغطيه ويلامس الجفنين، لم يمسسه ماء ولامشط فتعكّل وتشابك. عليه قميص واسع طويل يشبه الجبة في شكله. يسوق حمارا هزيلا عليه قفتان احداهما للقمح والاخرى للشعير، وكيس من القماش الابيض كتب عليه "هدية من الشعب الامريكي" فيه أنواع الدقيق المختلفة...

أوقف حماره وخل الكوخ متمتما دون أن يتكلم أو يستأذن فتبعته العجوز صامتة مرهفة سمعها. وتسلقت عيناه مختلف الاعمدة والاثاث. ثم أدار وجهه إلى المرأة الواجمة وقال بلهجة لا تكاد تفهم :

– ها الكيب فيه عمود ما هوش رزق حلال، وصاحِبْتَه ما زالت تلوّج عليه... بعديه عليك تسلمي... راهم رجال صبره صعاب ياسر. ردّي بالك.

فارتبكت "الولية" حتى اصطكت ركبتاها وقالت متوسِّلة :

– يا سيدي صبره، سامحني ! راني لقيته في الواد جايبه السيل.

لم يلتفت اليها "ولد صبره" ولم يجبها بل أسرع في تحريك يديه وادارة رأسه مردّدا هذا النداء الذي اقشعر منه جسم العجوز :

– يا رقود صبره... هيًّا هات... هات.

وبسرعة خاطفة مدّ يده مفتوحة وأرجعها مغلقة. ثم بسطها أمام العجوز وفيها البخور. فقالت بلهجة المؤمنات الخاشعات ، وقد ازداد ارتباكها واشتدّ جزعها :

– يا رجال صبره.

وخطا بعد ذلك نحو حماره الذي راح يتحسّس بمنخره كل ما يعترضه من قشور الغلال، والقراطيس. حتى اذا مسك بشكيمته التفت إلى العجوز وقال :

– اجعل معاك رجال صبره. ثمشي حويجة ؟

فأسرعت نحو الكوخ. ولكنها قبل أن تدخله رجعت إليه وطلبت منه في توسُّل أن يستريح عندها حتى ينطفىء الحرّ. فما كان منه إلا أن قيّد حماره ووضع على الارض ما كان عليه ثم دخل الكوخ هذه المرّة كما يدخله الآخرون... لقد انقلب انسانا عاديا !

ورجع الهادي من السُّوق وفي شاشيته كمشة الفول التي ذهب من أجلها، فأمطر أمه التي كانت تعد الطعام في زريبة أمام الكوخ بوابل من الاسئلة حول هذا الرجل الغريب. ولكنها اكتفت بقولها :

– اسكت ياهادي ! راهو من رجال صبرة. إذا كان تقول كلمة حتى في قلبك يعرفها.

فوضع لاول مرّة في حياته كمشة الفول بدون اعتناء وجرى نحو "ولد صبره" يتأمل شعره وقميصه وعكازيه، ويتفحصه لمعرفة الخصائص التي جعلته "يعلم ما في الصدور" ويأتي بالبخور من الفضاء...

وأتى "ولد صبره" على آخر ما قدمته له الولية في قصعتها الجديدة التي يشبع كل من أكل فيها، حتّى ظهرت كتابة "سيدي المدّب" فسألها، وقد بدأ جادا مهتمًّا :

– ها الكتيبة هذي الواش ؟.. آش كون كتبها ؟

فهمّ الهادي بالجواب ولكن أمّه صفعته هذه المرّة. ولعلها اول مرة تضربه فيها ! إنها تريد أن ينالها شرف الاجابة. قالت في بشاشة متصنعة :

هاذيك يا سيدي كتبها "المدب صالح" باش تنزل البركة.

فزام "ولد صبرة" وتمتم وأطرق. ثم طلب منها فجأة أن تغسل القصعة بماء المطر والصابون، وأن تأتيه بقليل من الكمون، دون أن يذكر لها الغاية والسبب.

وناولته العجوز قصعتها بعد أن غسلتها. ثم أتته بصرة صغيرة فيها قليل من الكمون طلبته من جارة لها منذ أيام بعيدة. ولكنها ندمت على تسرعها وعلى تضييع فرصة تستبعد عودتها. إذ كان بامكانها أن تنكر وجود الكمون عندها، فيأتيها به من الفضاء بسرعة خاطفة...

مضغ الرجل ما رمى به في فمه من الكمون، وقرب وجهه من القصعة. ثم نفث مزيجا من الكمون والبصاق فانتشر في قعر الاناء وقال جازما ضاربا كفا بكف :

– تَوّ يكفي. جدّي صبره راضي عليك... من اليوم قصعتك دائما بالخير والخمير مليانة... اتهنّي وارقدي بالنوم.

فسرّت العجوز سرورا لم يسبق لها أن رأت مثله في حياتها. وخطت نحو الغرارة السفلى التي تعوّدت أن تضع فيها كل ما تخشى عليه من الهادي، وأخرجت مزودا صغيرا حلت خيطه وأفرغته في حجر "ولد صبره" بكلّ تستّر. ولايزال الهادي وبقية الناس يجهلون الهدية تمام الجهل، وينسجون حولها الاقاويل.

ومرّت سبعة أعوام حافظت فيها "الولية هنية" على سلامة القصعة التي سمتها "قصعة صبره". فكانت تلفها بعد الأكل في قطعة من القماش الاخضر تدعي أنها من أرض مكة المكرمة أتى بها إليها أحد الحجاج كما وعد. وكانت إذا أشفقت على جارة لها سمحت لها بتقديم الطعام في "قصعة صبره" إلى الضيوف. فهم ولا شك سيشبعون...

وفي أحد الايام من صيف العام الثامن تركت "الولية هنية" ابنها الهادي مع الفجر لا يزال نائما فوق قطعة الحصير التي أعطاها إياه أحد التجار بالقرية مقابل ما يأتيه به من الماء في كل يوم خميس من العين المجاورة للقرية، وقصدت بنت أختها "صالحة" لتنسج معها الصوف برنسا لاحد أبنائها.

واستيقظ الهادي، فلم يجد أمه بجواره كالعادة فتثاءب طويلا ثم نهض إلى البُرْمَة وسط الزريبة فأفرغ ما فيها من الحساء في "قصعة صبرة" وبدأ يأكل منه حتى أتى عليه. فقام يتخطّى وترك القصعة بدون حام يحميها.

وكانت الفاجعة... فقد رأى جمل مصباح الاشقر الذي تعود زيارة الزريبة كل صباح يرفس القصعة بخفه الامامي والخلفي ويمر كعادته وئيدا لايزعجه الرمي بالاحجار.

فكر عندئذ في ردم القصعة بعيدا من الكوخ. ولكنه أعرض عن فكرته آخر الامر وترك "قصعة صبره" مهشمة قد تباعدت أجزاؤها، وسطّر في ذهنه سير الحادثة بحلقاتها وجزئياتها حتى يرويها لامه عند مجيئها.

وجاءت العجوز مع الضحى، وعلمت الخبر فاستاءت أشدّ استياء، وأقسمت ألا تذوق طعاما ولا شرابا كامل هذا اليوم المشؤوم. وأكّدت أن الجمل الاشقر سيقتله رجال صبره في أجل قريب. أما الهادي فقد انزوى مصغيا إلى تاريخ القصعة المجيد الذي ترويه الام في حماس يشوبه الاسى والاسف وكان يشعر بلذة عميقة، "ويفكر في موقف أترابه من الحادثة". .

وجمعت « الولية » "الشقف" في قطعة القماش الخضراء المكية وحملته مع كل ما تملكه من بخور إلى أعلى التلّ المجاور، بعد أن طلبت من الهادي أن يحمل معها جمرة في حقة طماطم قديمة، وجمعت

بمعونة الهادي أحجارا ملونة بنت بها "تحويطة" صغيرة. ثم كدستْ بداخلها الشقف كله ووضعت فوقه الجمرة، وهي تطلب من ابنها أن يقترب من التحويطة حتى تناله رائحة البخور الذي أخذت تذروه فوق النار فيتصاعد دخّانه كثيفا يتخلّل شعرها ورداءها...

ولم تعش "الولية هنية" بعد هذا الحادث المؤلم إلا سنتين كانت تزور خلالهما التحويطة فتبخّر وتستنجد برجال صبره وأحيانا بسيدي عبد القادر. ولكنها لما شعرت بدنوالاجل وعجزت عن "بخّ" الاطفال المرضى أخذت تردّد أمنية وحيدة أمام كل زائرة :

– أنا يا بنيتي نتمنى يعملوا الناس في الخير وقت اللي نموت ويدفنوني في التحويطة اللي فيها شقف صبرة حتى انكون من دنيتي الى جنتي.

وماتت "الولية" فدفنت في التحويطة تلبية لرغبتها. وكدس ابنها الهادي الشقف من جديد فوق قبرها. ولكنه لم يحرق البخور هذه المرة !

ولقد رافقني مرة أخ لي صغير في زيارتي إلى جدتي، فرأيته قد التقط شقفة حمراء وجدها في طريقنا، واحتفظ بها في يده. حتى اذا اقتربنا من التحويطة فاجأني بقوله مترنما :

يا هنية... ياولية... خوذي مني ها الهدية... واستريني في الصباح... واستريني في العشية...

ورمى بشقفته فانضمت إلى الكدس المتعاظم المتفخ ثمّ التفت إليّ والطرب يهزه هزا فقال :

– آش بيك ما ترميش شقفه لامك هنيّه ؟

فشعرت بسؤاله يضايقني. ولكني أردت إجابته بلغة يفهمها فقلت :

– على خاطر ما لقيتش

فتركني واقفا وانساب يبحث عن شقفة يقدّمها باسمي. فلما وجدها جرى نحوي ملوحا بيديه. واقترب من التحويطة فرمى بالشقفة بعد أن قال في اعتزاز الجواد تهزه أنانية الطفل :

– هذي هدية خوي... ها هو معاي.

وأشار إلي بيده كأنه يخاطب حيا أمامه. فأسرعت اليه لاضمّ إلى صدري براءته ...

الطاهر اللبيب

أغنية للمطر

شعر : ملك عبد العزيز

القصيدة الاولى

ذرذر على شفتي الندى...
ذاب الظلامْ...
يا فجر رطب مقلتيّ !
سكن التراب ....
ونشقت في النسمات ريحا من مطر !
واد بعيد...
قد بُلَّت الادواح فيه ، وغُسِّلت سُدُف الزهورْ...
تاق الفؤاد !
ورفعت وجهي... لو يبلله المطر !

سرب الغمام
شف رهيف
كغلالة من زنبق بض السدوف !
لاليس يمطر بل يثير بي الحنين...
ورفعت وجهي ... لو يبلله المطرْ !
لو بلّ قلبي... لو تغلغل في دمي
لو ذبت فيه ...
لوعانقت روحي أنامله الحنونْ !
... ...
روح السلام...
رفت على قلبي بريحك يا مطر !

ملك عبد العزيز
القاهرة

السياسة التركية والفرنسية غداة احتلال الجزائر

بقلم : محمد محفوظ

عندما احتلت فرنسا مدينة الجزائر في 13 محرم 1246 هـ. 5 جويلية 1830 انتهجت سياسة تضمن لها الاحتفاظ بما أحرزت عليه من المكاسب، واحتلال بقية القطر الجزائري، ثم اتخاذه قاعدة انطلاق لابتلاع بقية بلدان المغرب العربي في المستقبل.

ولتحقيق نجاح هذه الخطة التجأت إلى استعمال الترغيب والتهديد والتلويح بالمطامع مع الحكومات المجاورة للجزائر حسب مقتضيات الظروف.

وكان حكام تونس ضالعين مع الفرنسيين يزدادون منهم تقربا كلما خافوا على عرشهم الزوال على أيدي الاتراك غير مفكرين في المصير المحتوم الذي ينتظرهم، ولا ما يقتضيه واجب التضامن الاسلامي وحق الجوار والأخوة لانقاذ الجزائر من براثن الاستعمار الفرنسي.

وللسياسة الفرنسية حينذاك الشفوف والتفوق على سياسة حكومات المغرب العربي، لان هذه الحكومات لم تكن لها سياسة موحدة ولا منهاج مرسوم مدروس لمجابهة خطر الاحتلال الفرنسي المحتمل لبلدانهم عندما تتوطد قدم فرنسا بالجزائر ويرسخ نفوذها، وكلمتهم متفرقة كل منهم يتربص بصاحبه غافلا عن الخطر الداهم الذي يهدد بلاده بين اليوم والآخر، مما يدل على ضيق أفق هؤلاء الرؤساء، وانعدام الكفاءة العقلية والمؤهلات الفكرية التي ترشحهم لقيادة الشعوب والتحكم في مصايرها.

أما السلطنة العثمانية فقد كانت بحالة عجز لتراكم مشاكلها الداخلية والخارجية عن مجابهة دسائس السياسة الفرنسية مجابهة جدية توقفها عند حدها، وتقطع عليها طريق التدخل السافر في الشؤون الداخلية لدول المغرب ولم يكن عمل تركيا يتجاوز ارسال موظف سام مع حاشية له في باخرة حربية سرعان ما يتراجع أمام تهديد الاسطول الفرنسي، وعدم سماح حكام تونس له بالنزول، أو ارسال جواسيس لاثارة القبائل ضد الحكم القائم في تونس، ثم اتخذت من ليبيا بعد القضاء على عائلة القارمانلي قاعدة للقضاء على الاحتلال الفرنسي بالجزائر وعلى النظام القائم بتونس وجعل هذه

ولاية تركية مثل ليبيا، ولكن ذهبت كل محاولتها أدراج الرياح، وباءت كل خططها وبرامجها بالاخفاق والاندحار

وبعد هذا نسوق الاحداث متسلسلة ففيها ما يكشف عما المحنا إليه.

عندما بدأت فرنسا تتهيأ لاحتلال الجزائر اعلمت ماتيودي لسبس قنصلها العام بتونس في 18 افريل 1830، بأن يفاوض الباي حسين لعقد تحالف مع فرنسا، وجعل تونس داخلة في نظام دفاعي عن الممتلكات الفرنسيةبالبحر الابيض المتوسط، وأمضى الباي فعلا على الاتفاقية في 8 أوت 1830، وبذلك امنت فرنسا من كل تدخل أو إعانة من جانب تونس.

ولما بلغ تركيا نبأ نزول الجيش الفرنسي بالجزائر بادرت بارسال طاهر باشا (1) في باخرة حربية خلال ذي القعدة 1245هـ. جوان 1830 م وأرسى بميناء حلق الواد بتونس، وأراد النزول الى البر ليتوجه من ثم الى الجزائر لخلع حسين داي، وجعل الجزائر تابعة مباشرة للسلطنة العثمانية، فارتبك حسين باي تونس واعتراه الهلع، واقتصر على اكرامه، واعتذرله عن السماح بالنزول إلى البر بمانع الكرنتينة، ثم ان الباي عقد اجتماعا برجال دولته لدرس هذه المشكلة، فكان أكثرهم صراحة الوزير محمد كاهية الذي قال: "ان هذا الرجل يريد السفر في البر، ولايمكن ارساله في مهامه القفار بدون حامية على قدر مقامه، وانها محلة صغيرة، وبذلك ربما ظهر للفرنسيين أنها إعانة بتحيل (2)".

ثم الوزير سليمان كاهية الذي قال: "نخشى أن عربان البلدان اذا سمعت بباشا من بر الترك يقع فيهم خبال يكون سببا في الهرج والنهب، لاسيما والجهة الغربية مضطربة"(3).

ولما أعلم طاهر باشا باصرار حكومة الباي حسين على عدم السماح له بالنزول أقلع عن ميناء حلق الوادي قاصدا عاصمة الجزائر، وحالت دون بلوغه مراده قوة الاسطول الفرنسي، فرجع وفي نفسه مرارة وحقد على باي تونس "ولازال في نفسهحاقدا على الباي يرددها لكل من يأتي من

---

(1) "كان هذا الباشا خوجه بالجزائر، ومن أعيان رجالها، يتكلم بالعربية، ذا رأي وحزم وشجاعة، ثم لحق بخدمة الدولة العلية العثمانية، وترقى في مناصبها الى أن صار قبطان باشا" (تاريخ ابن أبي ضياف)، ثم عين واليا لطرابلس الغرب كما سيأتي، ثم عين وزيرا للبحرية بتركيا.

(2) — 3 — تاريخ ابن أبي ضياف.

تونس سمعتها منه مشافهة باسلامبول، وهو يومئذ قبطان باشا قال لي : ما يكون جوابكم لله عن تعطيلي الذى عطلتم به مصلحة جمهور من المسلمين لكن المقدر كان، فأجبته بما لا يقنعه".(4)

وإذ اطمأنت فرنسا على موقف الحكومة التونسية، ولم تبد أي بادرة من بوادر الاضطراب من القبائل التونسية الواقعة على الحدود بين تونس والجزائر والتي تربطها ببعض قبائل الجزائر روابط القرابة، رأت فرنسا الفرصة مواتية لارهاب تركيا بقوة أسطولها واشعارها بأن تونس حليفتها وخاضعة لمشيئتها، فأرست قطع من الاسطول الفرنسي بحلق الوادي بقيادة الاميرال روزمال ROSAMEL ، وفي هذا الجو أمضى حسين باي على اتفاقية 8 أوت، وبعدها قصد الاسطول الفرنسي ليبيا في 9 أوت1830للارهاب وشل كل حركة رسمية أو شعبية تهدف اعانة الجزائر، وتسوية حساب قديم، واملاء شروط جائرة مجحفة أهمها :

1) دفع غرامة حربية، وخلاص ما تخلف من الديون

2) ابطال الاحتكارات التجارية.

3) ابطال الضرائب المستخلصة من بعض الدول الاوروبية، وما كان يدفع للامير – حسب التقاليد – من مال عند تسمية قنصل جديد أو تجديد اتفاقية.

4) المنع من ترفيع عدد القوات البحرية.

والشرط الاخير يكشف عن نوايا فرنسا في اضعاف جيران الجزائر للأمن على ما اغتصبته، ولضرب هؤلاء الضربة القاتلة عند الفرصة المواتية وقد قبل يوسف القارمانلي هذه الشروط المذلة المهينة الماسة بسيادة الحكومة واستقلالها وكرامتها، وأمضى على الاتفاقية في 11 أوت 1830، وحددت الغرامة بمبلغ 800 ألف فرنك تدفع على قسطين : نصفها نقدا ناضا، والباقي في 20 ديسمبر من نفس السنة.

ولما رأت فرنسا أن احتلال مدينة الجزائر لم يضعف معنويات الشعب الجزائري، واستمرت المقاومة قوية عارمة سيما في الاماكن الحساسة كقسنطينة، فكرت في منح باي تونس حكم مقاطعتي قسنطينة ووهران في

(4) تاريخ ابن ابي ضياف.

مقابلة غرامة مالية، وفي ظن السياسة الفرنسية انها بهذه اللعبة البارعة تستطيع أن تسيطر على القطر الجزائري من غير تحمل جميع التكاليف، ويكون باي تونس مخلب القط.

فبدأ قنصل فرنسا بتونس ماتيودي لسبس يغري حسين باي(وكان القنصل محل ثقة وتقدير عنده وعند بطانته) بملاقاة قائد القوات الفرنسية بالجزائر المارشال كلوزيل، فارتأى الباي أن يعمل الحيلة لتخدير الحاج أحمد باي قسنطينة، واغراء مؤيديه على الاستسلام والرضا بالمقدور، خيانة منه وزلفى لأسياده الفرنسيين، "فكاتب علماء البلاد واعيانها بما محصله، ان الجزائر لما حلّ بها ما حلّ، وكان أمر الله قدرا مقدورا، أصبحتم فوضى، وعرضة لكل ذي حدّ أمضى لا تأمنون تراعا، ولاتستطيعون دفاعا، وبقاؤكم على هذه الحالة يفضي الى تشتيت الكلمة، واستئصال أمة مسلمة، وان الجيش الفرنساوي لاقبل لكم به ولا طاقة، فالواجب أن تنضموا الينا، وتتركوا القتال، لانه القاء باليد الى التهلكة في هذه الحال والمؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، الى آخر المكتوب"، وكان من انشاء عبد الفقير"(5)

وهكذا يستغل الاسلام من الملوك المنافقين المتواطئين مع الاستعمار والخائنين الخاذلين لجيرانهم وإخوانهم في الجنس والدين واللغة والمصير المشترك.

وكان رد الحاج أحمد باي قسنطينة ردا قويا حازما أذهل باي تونس مما اضطره الى كشف القناع لاجراء اتصالات مع المرشال كلوزيل، فعين للمفاوضة الوزير مصطفى صاحب الطابع والكاتب سليمان المحجوب اللذين ركبا باخرة فرنسية أقلتهما الى الجزائر في 2 أكتوبر 1830، وعندما قابل الوزير مصطفى صاحب الطابع المارشال كلوزيل وأبدى له تخوفه من وجود بعض الاضطرابات لدى قبائل الحدود، وخشيته من امتدادها، وما في هذا من الخطر على عرش سيده، عرض عليه كلوزيل منح حكم ولايتي قسنطينة ووهران للباي(ووهب المارشال مالا يملك لمن لايحكم !) في مقابل مليوني فرنك تدفع لفرنسا أقساطا، ولبثت المفاوضات بين أخذ ورد إلى أن أمضيت الاتفاقية الخاصة بقسنطينة في 18 ديسمبر 1830، والخاصة بوهران في 4 فيفري 1831؛ وفعلا عين خير الدين آغا – على كره منه – حاكما لوهران، فسافر على متن باخرة فرنسية صحبة الكاتب حسين بوكاف وحسونة المورالي

---

(5) هو المؤرخ ابن أبي الضياف.

وحامية قليلة من العسكر عززت بثلاثمائة جندي فيما بعد، ولم تطل مدة البقاء لنقمة السكان وضعف موارد السلب والنهب وامتناع الوزير شاكير صاحب الطابع (وهو ضد هذه السياسة وهواه مع تركيا) عن ارسال المال وأي نوع من أنواع الاعانة التي تمدد أنفاس هذا الحكم مما اضطر الحكومة التونسية الى اعلام كلوزيل برسالة في مبارحة وهران في 14 فيفري 1831.

وفي ليبيا أزالت تركيا عائلة القارمانليين الحاكمة بها، وصيرتها ولاية عثمانية في 29 ماي 1835، وأرادت أن تستغل وجودها في ليبيا لمشاغبة القوات الفرنسية باثارة القبائل الضاربةعلى مقربة من الحدود، واستمالة تونس للاستفادة من موقعها وقربها من الجزائر، والعمل على خلق الاضطرابات والثورات فيها حتى تمكن الاطاحة بالنظام القائم فيها أن أصرّ دعائمه على مواقفهم السلبية تارة، والموالية لفرنسا تارة أخرى.

كل هذا أثار الهلع والفزع لدى حكام تونس،فبادروا بتسليم شيء من المال والمؤون عندما قصدهم لهذا الغرض شاكر افندي، — على احتياجهم للمال، واختلال الاوضاع الاقتصادية — تجنبا من وقوع العاصفة على رؤوسهم.

وفي خلال شهر جوان 1836 توجه قبطان باشا (أميرال الاسطول التركي) طاهر باشا بقطع من الاسطول الى طرابلس، وبعد أن لبث بمرساها اياما تابع سيره نحو مصراته، فأثار مخاوف فرنسا التي أذنت ضابط البحرية هوقون Hugon أن يقتفي أثر طاهر باشا لمعرفة نواياه وخططه اذ كانت لديه تعليمات من الباب العالي في جعل تونس ولاية تابعة مباشرة للسلطنة العثمانية، ومحاولة اعانة باي قسنطينة المهدد باحتلال جنود المارشال كلوزيل. وعندما رأى طاهر باشا أن خطته افتضحت، وان الاصرار على تنفيذها يجر الى الاشتباك المسلح مع فرنسا أعلن في صراحة يحسد عليها أن مهمته لاتتجاوز ليبيا، فانسحب الضابط الفرنسي مقتنعا بهذا التصريح.

وبينما طاهر باشا بمصراته يعد العدة للرجوع الى طرابلس وافاه الوزير التونسي شاكير صاحب الطابع — سرا بدون علم سيده — وسلم له مائتي جواد، وكان هذا الوزير هواه مع السلطنة التركية يحاول توثيق علائق تونس معها، وفي خاتمة المطاف كان رأسه ثمنا لهذه العلائق.

وكان لانهزام جنود الماريشال كلوزيل أمام قسنطينة في أكتوبر 1836 دوي في المغرب العربي، وفتح أبواب الامل في امكان دحر القوة العسكرية

الفرنسية، وطردها نهائيا من أرض الجزائر، حتى قال طاهر باشا : ان قوات الامير عبد القادر ، وقوات الحاج أحمد باي قسنطينة قادرة على سحق القوات الفرنسية، وبعدها تصبح الجزائر خاضعة للسلطنة العثمانية.

ولطاهر باشا مع الحاج أحمد باي قسنطينة ووزير تونس شاكير صاحب الطابع صلات وثيقة ، وثلاثتهم يضع الخطط لطرد الجيوش الفرنسية من الجزائر ، وتقويض النظام القائم بتونس بدون علم من بايها الذي تتسم مواقفه على العموم بالميوعة والانحلال والمجازفة بمصلحة بلاده ومصلحة أجواره والتنكر للسلطنة العثمانية في سبيل المحافظة على ذاته وعرشه.

وفي هذه المدة كثر ارسال الجواسيس الاتراك في زي الدراويش لبث البلبلة والاضطرابات في أوساط القبائل المتاخمة للحدود، وبذل شتى أنواع الوعود ومختلف صنوف الاغراء. وجاء شاوش من الباب العالي سرا ارسل تحت رعاية الوزير شاكير صاحب الطابع الى الحاج أحمد باي قسنطينة باشا، مع الوعد باعانته بثمانمائة جندي الباني.

ان نشاط طاهر باشا وعداوته للنفوذ الاوروبي دعا الباب العالي لتسميته واليا على طرابلس الغرب بدلا من محمد رايس، ولما تسلم مقاليد الحكم أسر بان لديه تفويضا من الباب العالي في نجدة الحاج أحمد باي قسنطينة، لكن يتعين اقرار الامن بطرابلس قبل الاضطلاع بهذه المهمة، والغاية من هذا ربح عواطف السكان والقضاء على خصومه الثوار الاقوياء كعثمان آغا مصراته، وغومة بن خليفة المحمودي، واستطاع أن يلقي القبض على الاول وأخفقت محاولاته مع الثاني.

وفي نهاية أوت 1837 وصل الى ميناء طرابلس احمد مشير القبطان باشا الجديد مصحوبا بفرقة قوية من الاسطول العثماني ومعه عثمان آغا مصراتة السابق الذى أرسله قبل مدة الوالي طاهر باشا أسيرا إلى اصطمبول، وغرض السياسة التركية من هذا العمل جلب القلوب، واسترضاء الليبيين الذين تجمعهم بها العقيدة الاسلامية، واستغلال هذه لاثارتهم ضد الفرنسيين بالجزائر .

علمت السفارة الفرنسية بالاستانة أن الباب العالي أذن أحمد مشير بالتوجه الى تونس للاطاحة بعرش البايات حسب اتفاق سري بين ساسة الاتراك وبين الوزير شاكير صاحب الطابع الذى وعدهم بنشوب ثورة فور وصول الاسطول التركي الى المياه التونسية، وبالرغم من زعم تركيا بأن

غرض ارسال الاسطول الى تونس هو اعطاء تطمينات لمصطفى باي من جراء تخوفه من تصريحات طاهر باشا، فان فرنسا التجأت الى وسيلتها التقليدية — اذ ذاك — في استعراض عضلات أسطولها صيانة لمصالحها الاستعمارية ومطامحها التوسعية، وفعلا أرست بحلق الوادي قطع من الاسطول الفرنسي بقيادة نائب الاميرال للاند LALANDE قائد القوات البحرية الفرنسية بالبحر الابيض المتوسط، وعدل الاسطول التركي عن المجيء الى تونس. وبذلك لم تنجح جميع الخطط التركية في انقاذ الجزائر وتصيير تونس ولاية عثمانية، وكانت خاتمة المطاف نهاية الوزير شاكير صاحب الطابع صاحب الصلات الوثيقة بالباب العالي والساسة الاتراك يدبر معهم الخطط في الخفاء لتوثيق علائق تونس مع الباب العالي، والعمل سرا في الظلام لازالة دولة المماليك بتونس.

وشاكير صاحب الطابع ينحدر من أصل جركسي، أتي به صغيرا من اسطمبول الى تونس، فاشتراه الامير حمودة باشا، وربّاه بالقصر، ولما كبر بلغ رتبة باش مملوك، ثم أصبح صاحب الطابع في عهد حسين باي، وقصد الاستانة في مهمة رسمية، واستغل وجوده هناك لحبك مؤامرة مع ساسة تركيا لازالة نظام البايات، وزوده الباب العالي بفرمانات في اعتباره ممثلا له، ومن وقتها بذل جهده للتآمر على الباي، وربط صلات سرية مع طاهر باشا والي طرابلس الغرب واحمد مشير بعده، وباي قسنطينة والامير عبد القادر ووقع الاتفاق أن يوم 20 سبتمبر 1837 عندما يظهر الاسطول التركي بالمياه التونسية تندلع ثورة يلتهم لهيبها نظام البايات، لكن مبادرة الاسطول الفرنسي بالارساء بالمياه التونسية احبط الخطة، وأصبحت الثورة مستحيلة فبلغ أحد المشاركين في المؤامرة نبأها الى الباي، والشيخ محمد بن ملوكة الذي فاتحه سرا بخطة الثورة شاكير صاحب الطابع اعلم الباي أيضا، فجمع مصطفى باي مجلسا وجوبهشاكير بشريكه في المؤامرة وسحب وخنق (في جمادى الثانية 1253 هـ. سبتمبر 1837)(6).

أحرزت القوات التركية بليبيا في صائفة 1841 انتصارا على الثائرين عبد الجليل سيف النصر السليماني الفزاني وغومة المحمودي، اذ استطاعت أن تفصل بين ثوار سرت وثوار الجبل، مما أغرى حكومة ليبيا التركية بتجديد الحركات المعادية لتونس، فاستعدت بتوفير كميات كبيرة من المؤون،

(6) راجع أخباره وترجمته في تاريخ ابن ابي الضياف.

وزعت نصيبا منها على المراكز الواقعة في الطريق الرابط بتونس. والخطة تتمثل في عقد صلات مع القبائل المتاخمة للحدود واغرائها بالثورة على الحكومة التونسية، ثم يأتي دور تدخل الجيش النظامي لاعانة الثوار على التخلص نهائيا من دولة البايات، ويكون الاسطول التركي بالمياه التونسية متحفزا للنزول بالبر عندما تحل الجيوش النظامية بالتراب التونسي. وفي اللحظة المناسبة يقع التدخل باسم السلطان بعنوان اعادة النظام، ويتم الحاق تونس بالسلطنة العثمانية، وبعدئذ تتوفر الوسائل لانقاذ الجزائر من سيطرة الاحتلال الفرنسي.

أثار هذا فزعا لدى فرنسا فأذنت الاميرال (Le Ray) لري قائد القوات البحرية الفرنسية بصد كل قوة تركية تقترب من المياه التونسية، وبهذا أخفق المشروع التركي.

وفي خلال عام 1844 جدت ثورة في الجبل بليبيا أخمدها بقسوة أحمد باشا، وأسر قائد الثورة الشيخ ميلود أحد أنصار غومة المحمودي، وأرسل الى الاستانة ومنها الى طرابزون، ولم يمر عام حتى فر من محبسه والتجأ بجزيرة جربة، ومن مكمنه اثار الجبل، والتحق به، ولكن الثورة أخمدت، وعاد الشيخ ميلود الى جربة حيث امتنعت الحكومة التونسية من تسليمه لوالي طرابلس، مما أثار حنقه وحنق السياسة التركية، وراجت الاشاعات بتجريد حملة عسكرية لاحتلال تونس. ومما أيد هذه الرائجات وأثار مخاوف السياسة الفرنسية وصول كميات ذات بال من الذخيرة الحربية الى طرابلس الغرب وفرق من الجنود الالبان الذين صرح الكثير منهم بأن الحملة على تونس وشيكة الوقوع.

ولا ندرى لاى سبب تكشف اسرار حملة عسكرية يجب احاطتها بالسرية الكاملة لجنود بسطاء لا يعرفون مدى ما يلحق أقوالهم من أضرار بدولتهم ! وهذه وأمثالها ناحية ضعف كبرى في السياسة التركية افسدت عليها كثيرا من خططها وبرامجها، علاوة عن تفوق الجاسوسية الفرنسيةعلى زميلتها التركية تفوقا كشف أسرار الخطط وحال دون تنفيذها وجني ثمرتها وما أن علم الجواسيس الفرنسيون نبأ هذه الحملة والاستعداد لها حتى اعطوا اشارة الخطر وأرسلوا صيحات الفزع الى باريس وتونس، وازداد ظنهم قوة عندما مسكوا بخيوط دسائس عملاء الاتراك لاغراء العروش على حكومة الباي.

وكانت وضعية الباي السياسية مهددة مرارا بالانهيار ما كان يمسكها إلا

مساندة فرنسا لهم في المواقف الحرجة، فانتهزت فرنسا الفرصة لمساعدة حليفها وأعلمت سفيرها بتركيا (De Bourquenay) دي بوركني بأن يطلب استفسارا من الباب العالي وأرسلت قطعا من أسطول البحر الابيض المتوسط الى طرابلس بقيادة البرانس (De Joinville) دي جوانفيل الذي نما غروره بعد قذفه طانجة وماغدور، فوصل الى مياه طرابلس في 13 جويلية 1846، وقابل الباشا وأعلمه بعزم دولته على مساندة الباي، وبذلها كل مجهود لصيانة عرشه من الزوال، وأشعره بأنه لايكفي لأمن الباي واطمئنان فرنسا امتناع حكومة طرابلس عن القيام بأي عدوان مسلحوانه يجب ان لاتحاك الدسائس السرية، ولاتقع الاتصالات الخاصة مع خصوم الباي وأضداده التي من شأنها أن تجعل مملكته على مدرجة الخطر، وانه في غير حاجة لتذكيره بالشائعات الاخيرة التي أثارت المخاوف من احتمال تدخل السلطة التركية بطرابلس في الشؤون الداخلية لتونس، وأعلمه بأن كل تدخل مباشرأو غير مباشر بأي شكل من الاشكال يقع رده بحزم وانه اذا وقعت محاولة من نوع ما سبق فان حكومة الملك لاتكتفي بالانذار الودي، ولكنها تعرف كيف تفرض احترامها بالقوة من غير أن تنسى الطريق الى طرابلس.

وعندما انتهى البرانس من ابراقه ووعيده طلب من الوالي اعلام الباب العالي لهذه الزيارة. وكان جواب الوالي محمد أمين باشا بأنه لم يبحث ولم يفكر في بث الاضطرابات بتونس، كما أعلم الصدر الاعظم بشير باشا وديوان الباب العالي السفير الفرنسي بوركني رسميا انكارهم لكل عدوان على تونس، ولم يعطو أي تعليمات لباشا طرابلس في هذا الغرض.

وتوجت هذه المجهودات بزيادة تقرب الباي من فرنسا ونمو نفوذها بتونس زكاهما المشير أحمد باشا باي بسفره الى فرنسا في أعقاب 1846.

وكانت آخر محاولات تركيا لاقرار تبعية تونس للدولة العثمانية ارسال فرمان الى المشير أحمد باشا في توليته مدى الحياة بحجة تطمينه على مصيره، ولكنه رفض هذا في تلطف(7).

---

(7)لزيادة التفاصيل عما دار بين الباي والدولة العلية انظر : تاريخ ابن أبي الضياف.

قــرويــة

للقصصي المجرى لويس بيبو Louis Bibo

كـانت زوج بيـار العجوز التي أيبسها الشغل وسخط دائم وفطرة لا يرضيهـا شيء كانت مخلوقة فظة يضطرب في أعماقها غدير أربعين سنة من السكوت وذلك كله من أجل زوجها ذي النفس الهادئة اللطيفة التي لا يعرف الغضب والحقد إليها سبيلا.

وبعد يومين من حرب خفية بينهما هي تفقد الآن صبرها كما يحدث ذلك في جميع الاحوال.

كانت تتبع زوجها بالنظر متبينة ان العمل الذي كان يتعاطاه سيطول فلم تنتظر أكثر مما انتظرت فناولت الخنازير السمينة علفها ثم التفتت إلى الرجل قائلة :

— لم يبق لدينا ذُرَة

وكان بيار منهمكا في قطع شجرة طلح وقد أصاب منها عقدة فلم يتكلم فانتظرت المرأة قليلا ثم قالت بصوت مرتفع :

— إني أخـاطبك

فرفع بيـار عينيه وقـال :

— مـاذا

فقالت :

— لينته العمل آخر الامر فلنا منه كفـايـة

وحدقت في عينيه بينما كان يتلجلج في صوتهـا أمـر بـه فراغ وبه تهـديد فمسح بيـار العرق المتصبب من جبينه في حركـة بطيئـة وقـال في هـدوء تـام.

— سينتهي العمـل قـريبـا

ثم بصق في يديه وبحث عن المكان الذي يمسك منه مقبض الفأس فبعثت إليه المرأة بنظرة حادة وكان هو قد انحنى على الشجرة في اشارة هادئة فارغة وأمسك الآلة ليهوي عليها بضربة خافتة الصوت فاترة القوى.

ولم تجد المرأة في الحين الكلمة التي تمكنها من صفعه فأمرّ ريقها غضب شديد عنيد وكانت منتصبة في مكانها تنظر إلى بيار نظرة حقد عميق واحتقار قاس عاجز ثم أحست بالدموع على وشك الانفجار من عينيها فرجعت أدراجها وتركته مكانه

وأول فكرة جالت بخلدها هي أن تصيب الخنازير بسوء فتسمها مثلا أو تجد وسيلة أخرى أو تأتي جرما فظيعا لينهار أخيرا هذا العالم المعفون ولربما لم يفت الاوان كل الفوت فمسامير النعل بطاقة المطبخ وبوسعها أن تلقي بخمسة منها أو ستة في الذرة وفي الصباح سيحاول بيار عبثا أن ينبه الخنازير ومرت بجسمها قشعريرة وباطنها مستسلم إلى أفكار حاقدة فأحست فجأة بغضبها يهدأ وردت من جديد إلى تلك الملاحظة المعذبة وهي أن الخالق كتب عليها اللعنة فهي تتألم بجانب بيار منذ أربعين عاما من غير أن تتبين قط ما بها لكنها كانت دائما تشعر بتردد يحرقها إحراقا ويفنيها إفناء ولم يخطر على بالها حينا أنها قد تكون هي المخطئة وإن لها نفسا عنيدة متصلبة نفورا كان يمكن تعويدها الالفة بالغلظة... بالغلظة التي كانت هي متعطشة إليها طيلة حياتها كلها وإن كانت تجهل ذلك بينما كان بيار شفوقا صبورا تحطمت على صخرة طيبته أقوى الاهواءوالاحقاد ثورة وهيجانا مفقودة القوى تائهة القصد فما الفائدة إذن؟

ولقد اعتاد بيار في عناء غير عسير طبيعة زوجته فتحمل غضبها ولم يشعر بما كانت تخفيه من عقيم العذاب فلم يحاول تهدئتها ولا تسليتها فاتخذ الحياة كما فرضها عليه الله الذي يعلم كل شيء وتحمل حظه هادىء الصبر ثابت الجنان.

ولما كان الصباح اكتشفت المرأة أمرا هائلا هو أن أضخم الخنازير وأسمنها كان مطروحا على الارض والدم سائل من خرطومه والمجاج طافح من فيه فدعت زوجها فزلزلت الارض تحت قدميه ففتح باب الاصطبل كما لوكان يريد قلعه وصاح :

– أسرعي أسرعي

فجرت المرأة صائحة باحثة عن السكين لانها كانت ترى في هذه الكارثة عقابا إلاهيا لها عن تفكيرها أمس في مسامير النعل وها هو الآن هذا الحيوان المسكين قد ابتلع شيئا وعادت بالسكين لكن اعترضها حجر فوقعت على الارض ممتدة على طول قامتها فوقفت وهي تئن وبلغت الاصطبل وكان بيار تتأجج نفسه نارا فارغ الصبر فصاح

– الماء

فرجعت المرأة مبهوتة وقد أحست بخطر تباطئها فصاحت صيحة تمزق الفؤاد وانتزعت من دائرة الحائط صحفة ملأتها ماء وما كادت ترجع إلى بيار حتى ناولته إياها قائلة :

– ها هو الماء

فنظر بيار الصحفة وعندما شعر ان لافائدة في أي شيء وانه ليس لديه سطل مملوء ماء ليغمس فيه رأس الخنزير ثار غضبه وكان الخنزير يلهث ثم فجأة أخذ يكُر فقدر بيار بالعقل المسافة إلى البئر ذهابا وإيابا فعلم يقينا أنه سيعود متأخرا وان الخنزير يكون قد قضى.

لكن ما لزوجته منتصبة أمامه وما لها لا تأتي بالسطل ومالها تحدق فيه بعين بها مثل هذا الرعب ومثل هذا التحجر فأراد أن يدفعها عنه لكن زلت قدمه وهو يحاول ربح الوقت فأقصاها بركلة...

لم يعد بيار قادرا على إنقاذ الخنزير لكن زوجه اكتشفت فيه السيد الذي كانت في حاجة حائجة إليه.

تعريب : محسن بنحميدة

المعلــــم

شعر ـ محمد السنهوري

أتُرَى الْمُعَلِّمَ قَدْ يُسِيءُ الْقِيلاَ ؟
أوَ مَا كَفَاهُ مَا يَرَى تَبْجِيلاَ ؟

نَظَرَتْ إلَيْهِ السَّاسَةُ الْفُضَلاَءُ مِنْ
تِلْقَائِهِمْ مُسُولِيَتَهُ تَفْضِيلاَ

شُكْراً لَهُمْ مِنَّا عَلَى تَكْرِيمِهِمْ
تَكْرِيمَ مَنْ قَدَرَ الْمَزَا يَاالطُّولَى

الْعِلْمُ فَاكِهَةُ العُقُولِ ونُضْجُهَا
بِيَدِ الْعِنَايَةِ بِالغُصُونِ الاولَى

وَإذَا الشُّعُوبُ عَلَى الثَّقَافَةِ أقْبَلَتْ
فَاعْرِفْ بِذَاكَ عَلَى الرُّقِيِّ دَلِيلاَ

وَالْمَرْءُ لَوْلاَ عَقْلُهُ وَكَمَالُهُ
مَا كَانَ إلاَّ خَامِلاً مَفْضُولاَ

وَلَقَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ حَتَّى لَمْ أجِدْ
مُتَقَدِّماً فِي الْعَالَمِينَ جَهُولاَ

وَبَلَوْتُ لِلتَّعْلِيمِ أهْلاً إنَّهُمْ
طُرّاً أعَزُّ الشَّاغِلِينَ رَعِيلاَ

وُكِلُوا بِتَرْبِيَةِ الضَّمَائِرِ نَشْأةً
مَا كُلُّ مَوْكُولٍ بِهِ مَمْلُولاَ

حَاطُوا بِجَوْهَرَةِ الدِّمَاغِ طَرِيَّةً :
أيْدٍ تُلَمْلِمُ عَسْجَداً مَحْلُولاً !

انْظُرْ إِلَيْهِ مُحَكَّمًا فِي جَمْعِهِ :
مَلِكَ الطُّفُولَةِ فَاقِدًا إِكْلِيلاَ !

قَعَدُوا إِلَيْهِ هَائِبِينَ عُتُوَّهُ
وَمَشَى الْهُوَيْنَا فِي الصُّفُوفِ جَلِيلاَ

قَرَعَ الْعَصَا ثُمَّ انْثَنَى مُتَثَائِبًا
مُتَرَدِّدًا مُتَحَيِّرًا مَشْغُولاَ

عَجَبًا لَهُ ! مَاذَا يُرِيدُ بِبَصْلَةٍ
نَبَتَتْ مُعَلَّقَةً، وَشَكٍّ فُولاَ ؟

مَاذَا يُرِيدُ بِمَا تَرَى مِنْ مُتْحَفٍ
مُتَرَاكِمٍ وَبِطِينِهِ مَبْلُولاَ؟

وَلَقَدْ يُجَاءُ بِعَقْرَبٍ فِي حُقَّةٍ
حَيٍّ، وَيُؤْتَى أَرْنَبًا مَكْبُولاَ !

فَتَظُنُّهُ مِمَّا يُلاَحِقُ صَائِدًا ؛
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُجَمِّعُ غُولا

أَخَذَ الطَّبَاشِيرَ الْمُلَوَّنَ فِي يَدٍ
وَلأُخْتِهَا طَلاَسَةً لِتُزِيلاَ

وَمَشَى إِلَى السَّبُّورَةِ الدَّهْمَاءِ لاَ
يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ وَدَامَ طَوِيلاَ

يُبْدِي وَيَنْحَتُ أَوْ يَجُذُّ بِأُصْبُعٍ
أَوْ يَنْثَنِي يَتَأَمَّلُ التَّمْثِيلاَ

حَتَّى تَوَفَّقَ لِلتَّمَامِ، فَيَالَهَا
مِنْ صُورَةٍ أَلْقَى عَلَيْهَا السُّولاَ !

قَالُوا : "حِمَارٌ" قَالَ : "لاَ بَلْ فَارَةٌ"
وَرَنَا لِسَاعَتِهِ وَصَوَّرَ فِيلا

وَمَضَى يُثَرْثِرُ في الْجَمَاعَةِ سَاعَةً
مُتَوَهِّمًا مَا قَالَهُ مَنْقُولاً

حَتَّى إذَا الْمَلَلُ اسْتَبَدَّ على النُّهَى
نَزَعَتْ ذَرَارِيهِ تَجِدُّ فُضُولاَ :

هَذَا يُدَاعِبُ جَارَهُ مُسْتَهْتِرًا
عَبَثًا، وَذَلِكَ أَكْثَرَ التَّطْبِيلاَ

وَوَرَاءَ ذَيْنِكَ نَافِخٌ بِذُبَابَةٍ
لَهْوًا يُضَاحِكُ طَيْرَةً ونُزُولاَ

فَطِنَ الْمُعَلِّمُ لِلَّذِي يَأْتُونَهُ
وَمِنَ الْفَطَانَةِ مَا يَكُونُ وَبِيلاَ

أَرْغَى وأَزْبَدَ بِالْوَعِيدِ كَأَنَّهُ
فِي مَعْرَكٍ أَوْ صَائِرٌ مَخْبُولاَ

وَلَقَدْ تَطَاوَلَ إِذْ تَجَهَّمَ نَاظِرًا
حَنَقًا، وَأَبْدَى سَاعِدًا مَفْتُولاَ

هَفَتِ الْعَصَا لِلظَّالِمِينَ خَطِيبَةً
فِيهِمْ، وَدَمْعُ الظَّالِمِينَ هَمُولاَ

مَرَّتْ ثَوَانٍ وَانْقَضَى مَا كَانَ مِنْ
غَضَبٍ، وقَدْ خَفَتَ الْبُكَاءُ عَوِيلاَ

بَدَأَ الْفَتَى فِي دَرْسِهِ مُسْتَأْنِفًا
وَتَعَقَّبَ التَّمْرِينَ عَمَّا قِيلاَ

لَكِنَّ طِفْلاً لَمْ يَرُدَّ إِجَابَةً
مِمَّا دَعَاهُ إِلَى الْوُجُومِ قَلِيلاَ

فِي هَذِهِ لَمْ يَلْتَهِبْ أَوْ يَضْطَرِبْ
فَكَأَنَّهُ قَدْ ظَنَّهُ الْمَسْؤُولاَ

جَمَعَ الدَّفَاتِرَ فِي الْمَسَاءِ مُعَقِّبًا
وَهُنَا يَمِيلُ بِهِ النُّعَاسُ مَمِيلاَ

رَقَدَ الْوَرَى وَنَفَى الْكَرَى فَكَأَنَّهُ
قِسِّيسُ دَيْرٍ أَوْقَدَ الْقِنْدِيلاَ

تَبًّا لَهُنَّ أَزِمَّةٌ لاَ تَنْقَضِي
وَمُذَكِّرَاتٍ لاَ تُفِيدُ فَتِيلاَ !

لَبَّى دُعَاءَ النَّوْمِ جِسْمٌ فِكْرُهُ
فِي مَرْحَلاَتِ غَدٍ يَجُولُ جُؤُولاَ

وَغَدَا عَلَى طُلاَّبِهِ مُتَرَنِّحًا
أَرَقًا مُشَتَّتَ بَالِهِ مَشْمُولاَ

مَا كَادَ يَدْخُلُ قِسْمَهُ فِي فِكْرِهِ
مُتَفَقِّدٌ حَتَّى رَآهُ دَخِيلاَ

شَرٌّ تَذَكَّرَهُ فَصَارَ حَقِيقَةً،
لَبْثُ الشَّرَى هُوَ ذَا يُعَاوِدُ غِيلاَ

وَنِيَ الْفَتَى إِذْ لاَ دَوَاعِيَ إِنَّمَا
خُلِقَ الضَّعِيفُ عَلَى الْوَنَى مَجْبُولاَ

وَمَضَى يُقَرِّرُ مَا بَدَا مُتَلَعْثِمًا
لَكِنْ يُوَالِي جُهْدَهُ الْمَبْذُولاَ

فَإِذَا الذَّرَارِي لاَ تُجِيدُ تَفَهُّمًا
وَ إِذَا الْمُفَقِّدُ يَسْتَحِرُّ غَلِيلاَ

قَدْ قَالَ فِيمَا قَالَ : « إِنَّكَ مُقْصِرٌ
لاَ تَرْعَوِي وَالطِّفْلُ لَيْسَ كَسُولا »

« الشَّعْبُ مَا أَعْطَى الْبَنِينَ مُعَوِّلاً
إِلاَّ عَلَيْكَ الْمُخْلِفِ التَّعْوِيلاَ »

« إن لَم أجِدكَ كَمَا أشَاءُ وأرْتَجِي
بَدلتُ وَجْهَكَ مِن هُنَا تَبْدِيلاَ »

وَرَمَى بِتَقْرِيرٍ أشَدّ مَضَاضَةً ؛
يَا لِلْمُعَلِّمِ خَاذِلاً مَخْذُولاَ !

مَا ذَنْبُهُ لَوْ كَانَ ثَمّةَ عَادِلٌ ؟
مَاذَا جَنَى لَوْ نَفْهَمُ الْمَعْقُولاَ ؟

أرْخَى الْعِنَانَ إلَى الْخَيَالِ فَلَمْ تَكُنْ
إلاّ الْمَآسِي أضْرُبًا وَشُكُولاَ

حَتّى أولَئِكَ لاَ جَزَاءَ عِنْدَهُمْ
وَهُمُ الشّقَاوَةُ بُكْرَةً وأصِيلاً

وَ(ابْنُ الْخَطِيبِ) أمَا تَبهُ تِلْمِيذُهُ
خَنقًا، وَ(سُقْرَاطُ) الْمُعَظّمُ غِيلاَ

لَمْ يَبْقَ إلاّ أنْ يَلُوذَ تَعَلّلاَ
بِالْعُطْلَةِ الْكُبْرَى يَعُدّ فُصُولاَ

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلْخَلاَصِ فَإنّهُ
لاَ يَسْتَطِيعُ إلَى الْخَلاَصِ سَبِيلاَ ؟

مَاذا أرَى ؟ أوَظِيفَةً أمْ مَحْبِسًا
أمْ ذِلّةً أجَهَنّمًا شُغْلُولاَ ؟

هِيَ مِهْنَةٌ أوْ مِحْنَةٌ رُحْمَاكَ يَا
رَبّ الْبَرِيّةِ بِابْنِ إسْمَاعِيلاَ

فَلَتَبْقَيَنّ إلَى المَمَاتِ مُعَذّبًا ؛
وَلَتَفْنَيَنّ - كَمَا فَنِيتُ - خُمُولا

* * *

مَالِي كَذَا وَكَرَامَتِي مَوْفُورَةٌ
وَ أجَلّ مِنْ مِثْلِي أنَا مَدْخُولاَ ؟

حَسْبِي فَخَارًا أنَّنِي لَمْ أحْتَسِبْ
بَشَرًا، وَلاَ أوْفَدْتُهُ تَأمِيلاَ

حَسْبِي بِهَا مِنْ خُطَّةٍ قُدُسِيَّةٍ
وَطَرِيقَةِ الْفُضَلاَءِ جِيلاً جِيلاَ

وَلَنَا التَّأسِّي بِالنَّبِيِّ فَإنَّهُ
لَقِيَ الأذَى مُتَلاَحِقًا مَوْصُولاَ

حَتَّى أقَامَ مِنَ الاعَارِبِ أمَّةً
وَمَضَى وَخَلَّى بَيْنَنَا التَّنْزِيلاَ

أبُنَاةَ صَرْحِ الْفِكْرِ إيهِ إنَّكُمْ
صَدَقْتُمُ التَّخْمِينَ وَ التَّخْيِيلاَ

قَدْ كَادَ يُخْبِرُنَا الْحِسَابُ عَلَى غَدٍ
وَالطِّبُّ يُحْيِي الْمَيِّتَ الْمَقْتُولاَ

وَبِفَضْلِكُمْ صِرْنَا نُشَاهِدُ جَهْرَةً
غَزْوَ الْفَضَاءِ مُيَسَّرًا مَأمُولاَ

محمد السنهورى بن اسماعيل

الادريـــــــــــسي

بقلم : **البشير الديماسي**

ما كادت افريقيَّة (تونس الحالية) تنفصل عن الخلافة العباسيَّة في وقت كانت هذه الاخيرة قد بلغت سدرة المنتهى في السؤدد والعزّة والإتساع، حتى عزمت الدولة الاغلبية أن تسهم هي بدورها في بناء صرح الاسلام ومدّ حدوده ونشر مبادئه في أمصار أخرى وخاصة في هذه الجزر التي تواجهنا والمبثوثة في البحر المتوسط.. وقد كان الامير زيادة الله الاوّل أوّل من فكر في غزو بعض هذه الجزر وخاصة صقليّة التي كانت في يد البيزنطيين، فجهّز لذلك اسطولا ضخما عقد قيادته للقاضي أسد بن الفرات ، وأقيم في مدينة سوسة احتفال عظيم أشاد فيه الامير بخصال ابن الفرات وغيرته على الاسلام ثم أبحر الاسطول (827 م) واختفى في الافق وقد حمل على متنه رجالا تاقت نفوسهم إلى الاستشهاد وغمر قلوبهم الايمان..

وبعد لأي وجهاد مرير استقر المسلمون في صقليّة، وانتشرت في أرجائها الحضارة العربية، وازدانت شوارعها بالقصور والمساجد الاسلامية ما زالت آثارها باقية الى الآن، بل صارت نقطة انطلاق لفتح سواحل جنوب ايطاليا ، ولكن ما لبث داء الانقسام والانشقاق أن أخذ يدب في صفوف ساكنيها العرب واستبدّت شهوة الحكم بنفوس حكّامها ، وظهر ذلك العداء التقليدي بين القبائل اليمانية والقيسيّة، وهو عداء مستحكم قضى على نفوذ العرب في كثير من البلدان.. ثمّ كانت النتيجة الحتمية التي لا بدّ أن نتوقعها وهي سقوط الجزيرة في يد النُّرمان (1091م). وإذا أنهار النفوذ السياسي للعرب في الجزيرة فإنّنا نجد في الناحية المقابلة ازدهارا للحضارة العربية تحت راية النرمان ؛ إذ لم يلمع اسم هؤلاء حتى ذلك الوقت إلاّ لحبهم للحروب وقرقعة السلاح فشعروا بأنفسهم أقزاما في المجال العلمي أمام رعاياهم العرب حاملي مشعل الحضارة والتقدم في ذلك العهد.. فلم يكن هناك بدّ من أن يقلّد ذوو االاحلام الصغيرة ذوي العقول الكبيرة وأظهروا لهم عطفا كبيرا وأشاعوا في نفوسهم الاطمئنان حتى

يواصلوا بحوثهم العلميّة في جوّ بعيد عن التعصُّب الديني المقيت.. وهكذا نرى الملك (روجيه الثاني) وهو المولع بالثقافة العربية وبلباس العرب الفضفاض -حتّى اتهم بالوثنيّة ، نراه يستقدم العالم الشريف الادريسي، فما هو سبب اختيار الملك النورماندي لهذا العالم ؟ لقد ولد الادريسي سنة (1100م) وشبّ وزها في مدينة سبته بالمغرب الاقصى، وهو ينتمي الى اسرة ادريس الثاني مؤسس الدولة الادريسيّة الشيعيّة في هذا البلد، وقد بانت عليه منذ حداثته ملامح الذكاء الوقاد واستولت عليه منذ فجر حياته رغبة جامحة في ألاطلاع على علوم ذلك العصر، كما كان محبّاً للتّنقُّل والترحال ممّا دفعه الى اجتياز ذلك الزقاق الذي يفصل بين منبته وبين الاندلس للعبّ من مناهل العلم التي تتجمّع جداولها – حينذاك – في جامعة قرطبة.. ولم يكن يقصر همّه على العلوم النقليّة فقط ويحصر عقله في قوالبها الجامدة، بل كان كثيرا ما يقوم برحلات خياليّة عبر الكواكب والنجوم فيتأمّل اشكالها ويلاحظ حركاتها ويحاول أن يحصي عددها.. ثمّ ينزل بخياله الى الارض فيحاول ايضا ان يعرف حدودها وبلدانها وأقوامها.. وهكذا نراه لا يعرف السكينة والاستقرار ويشدّ عصا الترحال مرّة أخرى ليمخر عباب البحر المتوسط حتى يبلغ شواطىء آسيا الصغرى.. ثمّ يستقدمه (روجيه الثاني) ملك صقليّة – وهو المعجب بالعرب وعلومهم – فيلبي الطلب ويصبح هناك صديقا حميما للملك النورماندي، ولقد طلب منه أن يضبط حدود بلاده فأجابه الى ذلك وصنع له كرة سماويّة من فضة فريدة في نوعها رسم له فيها كل ما يوجد في مملكته من مظاهر طبيعية..

ولم يقتصر عالمنا الجغرافي على صنع هذه الخريطة الاقليميّة، بل إنّه تجاوزها الى صنع خريطة للعالم القديم المعهود في ذلك الحين رسم فيها بدقّة أهم الانهار والجبال والخلجان والمدن والطرق الرئيسية.. ثمّ نراه يقتفي أثر الرحّالة ويزوّدهم بالاموال كي يمدّوه بمادّة جغرافية أخرى تخص الأصقاع النائية وتتعلق بالاجناس البشرية في مختلف الامصار، ثم يدوّن هذا كله في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) .. ولاتّساع الآفاق التي طرقها في هذا الميدان نراه يصف لنا في كتابه هذا منابع النيل والبحيرات المحيطة بها قبل أن يكتشفها "ستانلي" الانقليزي بمدى طويل.. بل ربّما نستنتج من أحد فصول هذا الكتاب أنّ الادريسي قد وصل في بعض رحلاته إلى سواحل انقلترا، كما هو يصف لنا في فصول أخرى بعض مظاهر الحياة في مدن البلدان الاسكندنافيّة وان كان يعترف أنّه

لم يزر هذه البلدان وإنما عرفها من بعض أصدقائه الذين أوفدهم لهذا الغرض..

ولايمكن أن نمرّ هنا دون أن نشير إلى أن اهتمام الادريسي كان منصبّاً على العالم الغربي أكثر من العالم الشرقي.. وقد يرجع هذا الى اهتمام صديقه الملك النورماندي بهذا العالم أكثر من ذلك، وان كان هذا الملك قد اشتهر بإعجابه بالشرق والعرب .. ثمّ إن وجوده في صقلية القريبة من أوروبا يدفعه الى معرفة هذه البلاد الشاسعة بكل يسر وسهولة..

وبعدُ.. فهذه شخصيَّة علْميَّة عاشت في مغربنا وتنقلت بين ربوعه وظلَّت تسلّط الاضواء على مجاهل هذا العالم فأدركت منه الشيء الكثير، ثمّ لم تضنّ بما حصلت عليه من حقائق ولم يمنعها التباين العقائدي عن كشفها لكلّ من يروم معرفتها .. وبذلك يكون الادريسي من الرّواد الكبار الذين نقلوا الحضارة العربيَّة إلى الشَّاطىء الآخر من البحر المتوسط حيث أينعت ثمارها وامتدّت فروعها إلى اجواز الفضاء .

البشير الديماسي

* * *

ذات ليلـــــة ماضيــــــة ...!

اقصوصة بقلم : رشيد الغالي

تربع "عم الحشايشي" فوق الحصير بقامته العريضة بعدما وضعت له زوجته المجمرة عند رجليه ثم انصرفت لتحضر له بقيـة لـوازم طبخ الشاي فأخذ قطعـة من الـورق المقـوى واستعملهـا مكـان المروحـة..، وفجأة توقف عن العمل وقطب حاجبيه وصـاح.

— يـا ...! يـا إمْرَى ؟

— اشنـوى ؟

— يعطيك إحْلُوه في السانك ما تعرفش اتقول إنعـم ؛ وين إمشـات المقصـوفة صلـوحه ؟

— امشـات تملا في المـاء مع منوبيه وقمـر ؟

— مش نبهت عليك معادش تخرج الطفلة وتمشي إلى بير الحاج صالح ؟

• • •

كـان قد أصدر عـم الحشائشي هذا الامـر عندما خطب صلوحة محمود البستاني ابن الحـاج صـالح...

وتعـرف محمـود بصلوحةأثناء العمـل...، كان يسنو عـلى البئـر... وكـانت صلـوحة تـرافق صديقتيها منوبية وقمـر الى بئر محمود. ويصعد هذا الثالوث الى حجر البئر يتهادى والجـرار فـوق ظهورهن تلمع تحت أشعة الشمس...

كان محمـود يعـرف جيـدا هذا الثـالوث وخاصة صلوحة أجملهن وكان كذلك يعرف جيدا موعد مجيئهن.فإذا ما أنزلن جرارهن من على ظهورهن يوقف محمود دابته ويتظاهر باصلاح الحبل أو بوضع الزيت في محور الجـرارة أو بالنظر الى كمية المـاء بالخـزائن..، ثم ؛ ثم يستأنف العمل وتنزل الدابة الى المجر يرافقها محمود فإذا ما انتهت الى آخره يبرز الدلو الكبير فتعمد الفتيات الى رفع جرارهن ثم يقربن أفواهها الى كمّ الـدلو، ولكن...، ولكن محمودا الذي يرغب في بقائهن، يجذب الحبال بشدّة

فتنصب المياه خارج الجرار..، وتعاد الجرار الى الارض، وينتهي الى محمود همسهن وحنحنة أصواتهن المنغمة فيطرب لذلك ويعيد العملية مرّة أخرى، وأخرى...

وعندما تمتلىء الجرار تأخذ الفتيات في عصر ذيول أثوابهن التي ابتلت فكان ينطلق من عيني محمود بريق يلتمع مختلجا في نفوسهن الغضة...

وأخيرا، هذا دلو لغسل الاطراف وهذا آخر للمضمضة وآخر للاستنشاق...

وترتفع الجرار على الظهور ويعود الثالوث المتهادى أدراجه يتهامس ويعود محمود الى جدّه فينهر دابته...

أما صلوحة فإنها أحسّت بنظرات محمود الملتهبة وأدركت منذ البدء أن محمودا يفضلها على صديقتيها... لذلك كانت تأتي كل يوم جمعة بمفردها لتملأ الماء ولتغسل ملابس الاسرة... فكان محمود يشغل بها فترة من الزمن ثم ينصرف عنها إلى أغانيه الريفية ؛ العاطفية... أما هي فكانت تكشف عن وجهها المستدير، الجميل وعن ظفائر شعرها الفاحم المنسدل على ظهرها...

• • •

... أمّا في هذا اليوم..، هذا اليوم على الاخص فإن محمودا لم يكن ينتظره..، فهو ليس على غرار الايام السالفة..، لقد أحس بأنه، هو محمود، ولكن في نفسه طاقة تستطيع في لحظة أن تلفّ المسافات وتخلق المعجزات...

أما هي، فهي هي صلوحة التي يعرفها، ولكن شيئا آخر يلفها شيئا هو أبعد مما يمكن أن يتمنّاه المرء من جمال في المرأة...

لقد كانت تميس تحت ثوبها الريفي الفضفاض. مشيتها رقص، نظرتها سحر، وانحناءتها إبداع ...

ووجد الجرأة الكافية ليقترب منها :

— ماكش صلوحه بنت عم الحشايشي ؟

وزادتها حمرة وجهها رونقا فتواثب الدم في عروق محمود وهو ينظر الى الرعدة التي سرت في شفتها السفلى...

... والتفت فلم يجدها وإنما وجد بعض ملابسها هي هنا عند قدميه...

... ولم يرها من الغد أو من بعد الغد. وجنّ جنونه وأخذ يلعن فعلته الشنيعة..، وأخذ يوم الجمعة المواليّ يقترب وهو يتلظى على نار شوق مرير... وجاء يوم الجمعة وأخذ يترقبها ولكن بدون جدوى... وكاد ييأس من رؤيتها تماما غير أنه تلمح شبح امرأة تصعد الى الحجر وتلقي في الماء صرّة كبيرة من الملابس، فتسارعت دقات قلبه، ولكن خيبته كانت شديدة لما تبيّنها فوجدها عجوزا بدينة، فقطّب وجهه وصاح في وجهها :

– ما تغسليش في الماء ؟

– إعلاش يا وليدي ؟

– ما تعرفش ؟ إشْطَر الغلّة ماتت بجرّ الصابون ؟

– مشنغسل بالطفل ؟

– قُتْلك ما تغسلش ما تغسلش ؟

– القسم على الله يا وليدي ؟ ؟

– اذهب وَادْ إكَرْكرِكْ وانْتِ اندحَدَحْ كالبقرة العُشْرَة ؟

ومن الغد قرر محمود الذهاب إلى بيت عم الحشايشي فحمل معه الملابس التي نسيتها صلوحه ليُبرِّرَ قدومه. وطرق الباب فأقبلت صلوحه وفتحته..، ولما رأته حاولت أن تهرب وتهرع إلى أمّها ولكن صوته الحنون، المتضرع أوقفها.

– صلوحه ماتخافشي ؟

ومدّ يده يناولها ملابسها

– سامحني يا صلوحه ؟ معادش انكلمك ومعادش نِسْنِي أنا على البير ؟

وردت عليه : بالسلامة ؟ وفرّت بينما كانت كلماته الدافئة تلاحقها...

واشتدّ هيامه بصلوحه وصارح أمّه برغبته في الزواج من صلوحه..

وذهبت أمه الى دار عم الحشايشي لتطلبه بنت "الحسب والنسب" وبقي محمود أمام البيت يترقب النتيجة...

وبعد فترة من الزمن تحملها محمود على مضض تعالت في سكون الليل زغردة عربدت في هيكل محمود فكاد يطير فرحا...

وعادت صلوحة الى البئر..، وعاد محمود يترشف من عينيها أبعد نشوات السعادة...

إنّ هذا البستان أصبح لها..، لها وحدها. سترتع في رحابه وستتمرّغ في ظلاله...

لقد خالفت أمر أبيها الذي يمنعها من الدخول إلى بستان محمود بل أصبحت تسمح لمحمود بأن يقترب منها وبأن يعينها على حمل الجرة على ظهرها وبأن يقول لها: بالسلامة.

وتردّ عليه التحية.

أما محمود فإنه تقدّم منها بعدما وضع الجرة على ظهرها الناعم..، وأمسك وجهها بيديه، ثم هوى برأسه ليلثم شفتيها المستسلمتين لكن عينيه جمدتا على صورة عم الحشايشي على البئر فارتعش وسقط على سمعه صوت أجش يقرعه :

ــ قُومْ يَا اولد حُط عَ الجمل ؟ قوم يزي من النوم ؟ إذا كان النوم ايكبر راه كبر القطاطس والكلاب ؟

كان هذا الصوت صوت الحاج صالح يوقظه للعمل. فتململ محمود في مضجعه ثم نهض ونهر دابته متجها نحو البئر...

ولم يمض وقت طويل حتى أقبل الثالوث يتهادى ولكنه في هذه المرة لم يفعل شيئا..، كما أنه لم يجد الجرأة التي وجدها في الاحلام أحلام الليلة الماضية...

رشيد الغالي

ابو بكـــــر الــــــرازي

بقلم : **نور الدين بوكراع**

لاتهب نسمة في هذا الوجود ولايحدث حدث مهما عدّ تـافهـا إلاّ وللعاقل فيه عبرة فهو يرى من خلال فصوله أمثولة تعود عليه بالفائدة في مستقبل الحوادث – فما قولنا بحياة حافلة بجلائل الاعمال مشحونة بمؤلفات هي الجواهر. كحياة الرازي أبي بكر طبيب العرب نطاسي الشرق في عهده وفاتن الغرب بعده طيلة قرون، صاحب المؤلفات المؤلفة والكتب الخالدة ؟؟.

كان الرجل قد ناهز الاربعين من سنيه عندما قدم بغداد بعد أن زاول الصيرفة وأولع بالموسيقى والانشاد – ولكن بالرغم مما احترف وزاول وامتهن فان جذوة حب المعرفة ظلت تتأجج في صدره.ولما وقع بصره على المستشفى في بغداد داخلته روعة شديدة وأصبح لا ينفك عن السؤال والاستفسار.

قال ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الانباء في كلام عن الرازي "إن سبب تعلم أبي بكر محمد بن زكرياء الرازي صناعة الطب : انه عند دخوله مدينة السلام بغداد – دخل إلى البيمارستان العضدي يشاهده فاتفق له ان ظفر برجل شيخ وظيفته صيدلي البيمارستان فسأله عن الادوية ومن كان المظهر لها في البدء ؟ فأجابه بقوله : إن أول ماعرف منها كان "حي العالم" وكان سببه أفلُولن سليلة اسقليبوس وذلك أن أفلولن كان به ورم حار في ذراعيه مؤلم ألما شديدا فلما شفي منه ارتاحت نفسه إلى الخروج الى شاطىء نهر فأمر غلمانه فحملوه إلى شاطىء نهر كان عليه هذا النبات وانه وضعها عليه تبرّدا به فخفف ألمه بذلك فاستطال وضع يده عليه وأصبح من غد ففعل مثل ذلك فبرأ. فلما رأى الناس سرعة شفائه وعلموا أنه انما كان لهذا الدواء سموه حياة العالم وتداولته الالسن وخففته فسمي حي العالم فلما سمع ذلك أعجب به. دخل تارة أخرى إلى هذا البيمارستان فرأى صبيا مولودا بوجهين ورأس واحد فسأل الاطباء عن سبب ذلك فاخبر به فأعجبه ما سمع ولم يزل

يسأل عن شيء فشيء ويقال له وهو يعلق بقلبه حتى تصدى لتعلم الصناعة وكان منه جالينوس العرب هذه حكاية أبي سعيد ".

لم تكن حالة الرازي مع الصيدلي كما أسلفنا ولاحالة الشريف الرضي مع تلميذه مهيار. وإذا كنت اسجل له هذه السجية فان المؤرخين أجمعوا على أمر يجعل للرازي صفة جد كبيرة هي صفة النظر البعيد والمذهب السديد الدالعلى معرفته العريقة بمركبات المواد الكيمياوية وتعرضها للانحلال.

واستاذ الرازي في الطب هو علي بن الربن الطبري اليهودي وكان قد اعتنق الاسلام في أيام المعتصم ووضع للمتوكل كتاب فردوس الحكمة

وللرازي أقوال ملؤها الحكمة والاختبار وفي مؤلفاته الاراء الجديدة الدالة على فكر نير ومن كلامه قوله : "الحقيقة في الطب غاية لاتدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم رايه خطر". وقال : "القراءة من كتب الحكماء والاشراف على أسرارهم نافع لكل حكيم عظيم الخطر". وقال : "العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض فعليك بالاشهر فيما أجمع عليه ودع الشاذ واقتصر على ما جربت" وقال : " من لم يعتن بالامور الطبيعية والعلوم الفلسفيةوالقوانين المنطقية وعدل الى اللذات الدنائية فاتهمه في علمه لاسيما في صناعة الطب. الى آخر أقواله التي تصلح أن تكون نصوصا مستقلة تقتل بحثا وتدريسا من طرف طلبة الجامعات الطبية والعلوم الانسانية. وقد استفاد منها الغرب وأبناؤه بقدر ما تغافلنا عنها وتركناها جانبا. انظر اليه في هذه القولة المأثورة والحكمة البالغة قال :

"ينبغي أن تكون حالة الطبيب معتدلة لا مقبلا على الدنيا كلية ولا معرضا عن الدنيا كلية فيكون بين الرغبة والرهبة".

إنه لعلم ثاقب وفلسفة نادرة المثال في ادراك الاشياء . وللرازي مؤلفات عديدة في شتى المواضيع اوصلها ابن ابي اصيبعة إلى المائة وتزيد . وأهمها الكتابان العظيمان المنصوري والحاوي وقد نقلا الى اللاتينية في القرن الثاني عشر. وقد اتفق للمنصوريوقد أهداه مؤلفه إلى صديقه الملك المنصور بن ساسان أحد ملوك خراسان لذلك العهد ان المؤرخين خبطوا فيه خبطا عجيبا وذلك لاقبال مدرسة مونبلية عليه ولانه أصبح

من الشهرة بمكـان. فمنهم من عزا الأسم الى أبي جعفر المنصور مؤسس وموطـد الدولة العباسية معيدا اياه جيلا الى الوراء، ومنهـم من بـات ينسبه الى المنصور حاجب هشام الاندلسي قـافزا بـه من قـارة الى قـارة. على أن كتاب المنصوري يتضمن فصولا في واجبات الطّبيب وفي شروطه هي خير ما كتب في هـذا الموضوع وقد ترجمت في القرن الاخيرالى الفرنسية راسا وظهرت في كتاب عنوانه : المذاهب الطبية للاستـاذ بوشـو عـام 1864 ».

أمـا كتاب الحاوي فانه ظهر بعد موت الرازي اظهره ابن العميد الكاتب الكبير بعد أن جمع تلاميذ الـرازي ومن ذلك أنّ ترجمته كانت في طليطلة في القرن الثاني عشر مع أخيه المنصوري وقانون ابن سينـا. واطبق المؤرخون أن ملوك فرنسا كانت تهتم بحاوي الرازي اهتمامها بأثمن ما لديها من الكنوز فان لويس التاسع قدكان شديد الاعتناء بصحته حتى طلب من مدرسة الطب بباريس في القرن الثاني عشر أن تمكنه من استنساخ الكتاب المذكور ليحفظ في مكتبته الخاصّة فاغتنمت الادارة هذه الفرصة السانحة وأخبرت الملك بحاجتهـا الى الدراهم فلم يخرج الحاوي من مكتبتها الا بعد ان نقدهـا الملك مـا طلبتـه منـه واستدانت المدرسة المذكـورة مرارا في القـرن الرابع عشر فلم تجد من يسلفها نقودا الا بعد ان استودعته حاوي الرازي ولم يقبل الدائنون بغيره من الرهن.

توفي الامـام الرازي سنه نيف وتسعين ومائتين وقيـل عـام 320 هـ. أمـا ابن خلكان فإنه يؤكد وفـاة الرازي عام 311 هـ الموافق لسنة 923 م وبهذه الرواية أرخ المترجمون والمؤرخون..

هـذه نبذة عاجلة عن أحد أعلام الطب عند العرب وأعتقد اني لم اوفـه حقـه ومالا يدرك كله يدرك جله.

نـور الـدين بـوكراع

الهـــــارب

2

مسرحيـة ـ بقلم : الطـاهـر وطـار

الفصـــل الثـالث *

المنظر الاول : « غرفة حامد ، نفس الاثاث ، الوقت صباحا ، واشعة الشمس تخترق زجاج النافذة فى لون لازوردى يوحى بالشعر »

المشهـــــد الاول

حـامـد ـ الخـادم ـ انـا

حـامد ـ اهى جميلـة ؟

الخادم ـ لا هى بالجميلة ولا هى بالقبيحة ،

انـــا ـ خير الامور اوسطها •

حـامد ـ اهى طويلـة ام قصيرة ،

الخادم ـ اطول من القصر واقصر من الطول

انـــا ـ معتدلة القامة ، شىء حسن

حـامد ـ ما لون شعرها ؟

انـــا ـ (ضاحكا) اذهبى ؟

الخادم ـ لون شعر كل الناس

حـامد ـ الا تستطيعين ان تصفيه ؟

انـــا ـ (يخاطب حامد) لو كان ممتازا للفت انتباهها •

الخادم ـ اظن انه اسود ••

حـامد ـ من اية طبقة هى ؟

الخادم ـ متوسطة الحال ، ولكنها مثقفة بعض الشىء

انـــا ـ شىء جميـــل •

حـامد ـ ينبغى ان تحضريها حالا ، فى اقرب وقت ممكن ، سريعا سريعا •

الخادم ـ سأذهب اليها الآن واعود بها بعد قليل

(تنهض وتتجه نحو الباب)

انـــا ـ اسمعى ، اياك ان تلتزمى بشىء مـا ، او ان تضفى على الموضوع ايـة صيغة رسمية ، افهمت ؟

---

* راجع : الفكر ـ السنة 8 ـ العدد 1

حـامد ـ اننى فى انتظارك على احر من الجمر ٠
(تخـرج)

المشهـــد الثـــانى

حـامـــد ـ انـــا

حـامد ـ (يفرقع اصابعه) لا هى بالجميلة ولا هى بالقبيحة ، اطول من القصيرة واقصر من القصيرة ، بقى لون عينيهـا ، ترى مـا يكون ؟ كان على ان اسألها ، كذلك لست ادرى ، أشقراء هى ام سمراء ام بيضاء ، ايا ما كان الامر ، فانها قادمة ، بعد حين ستكون هنا ، وستكون عيناى كعينى قط امام فار مسكين ٠٠ آه لقد تأخرتا ، لاشك ان الخـادم العجوز الشمطاء هى التى تسير ببطء السلحفاة ٠

انـــا ـ (فى جد) حامد، اعتقد انك ستخل بشروطى كالعادة، لقدبدأت تخرج عن الموضوع ، كنت البارحة على وشك الانعدام ، وبعسر انقذتك ، وجعلتك باختيــارك للبقاء كانك ولدت من جديـد غيرها انك بدأت تخبط خبط عشواء ، وتنطلق بعواطفك نحو مركز الكهرباء فى الحياة لتصطدم بتيار عنيف وتجد نفسك امام المرآة تمسك بالمسدس ٠٠ اسمع يـا حـامد لا تترك نفسك كالضفدعـة تجذب الهواء ولا تتنفسه ٠٠ اتعـرف ان الضفدعة حين توضع سيقارة فى فمها تستمر فى ابتلاع الدخان الى ان تنفجر ، ٠٠ كذلك شأنك

حـامد ـ (متبرما) ليست بينى وبينك اية شروط ، حتى تحاسبنى عنها ، كل ما هنالك ان قدمى زلتـا فوجـدت نفسى فى الحياة ، انك اغريتنى ، دحرجتنى فقط، ولكن الذى لا شك فيه عندى هو ان كل شئ مؤاقت اعرف ان التجربـة التى اقبل عليهـا ، فيها من الالم اكثر ما فيها من الجد ، وان اعطت مفهوما فلن يكون الا الاغراء ، الاغراء الذى يدحرجنا نحو البقاء ٠٠ اننى اعرف الحقيقة وسأخلص لها ولنفسى ، غير اننى ما دمت حيـا فسأتزحلق كما يصادف لقـد رفضت الحياة العسكريـة ، وسأرفضها سأتزحلق فى الاتجـاه اجده يجذبنى نحـوه ٠٠ نعم ٠٠ والاجدر بك ايها الرقيب ، ان تتركنى وشأنى

انـــا ـ حسنا ، ايتها الضفدعة الغبية ، ماذا تتصور ان تكون هذه القادمة ؟

حـامد ـ لست ادرى ٠

انـــا ـ الا ترى انك تأخذ الحياة من جانب واحد ، تبتلع دون ان تتنفس

حـامد ـ اعرف ذلك اعرف اننى اتزحلق ، ونحو الاتجاه الذى يجذبنى اليه ، ان كل الناس هكذا ، وان اختلفوا فى الظاهر فذلك مرجعه الى اختلاف الاتجاهات التى تجذبهم نحوها

انـــا ـ تفكر كما لو كنت وحدك في هذه الحياة ،

حـامد ـ ماذا تريد ان تقول ؟

انـــا ـ الجمال والقبح ، الخير والشر ، النبل والانحطاط ، الصغر والكبر ، ان هذه الصفات لا يمكن ان تجتمع في الفتاة القادمة ولا بد ان تكون لها من كل صفتين صفة ، كيف تتصور ان تكون ؟ ام انك تتزحلق بعواطفك دون ان تفكر في هذا ؟

حـامد ـ (متخاذلا) لم افكر ، ولن افكر ، لن اكلف نفسي هذه المهمة ، ما دمت اشعر بشيء من الغبطة ، سأدعه يسيرني

انـــا ـ اما كان اولى بك ان لا تغتبط ، وان لا تستاء حتى تقف عن الحقيقة

حـامد ـ كان ذلك اولى بي .

انـــا ـ اذن ؟

حـامد ـ لا استطيع ، لعل الاتجاه الذي اتزحلق فيه الآن هو اتجاه الغبطة ، ولو انني في قرارة نفسي اعرف السبب الحقيقي ٠

انـــا ـ ما هو ؟

حـامد ـ انك تعرفه ، انه الجديد ، نعم يا انا كل جديد في هذه الحياة يجعل المرء مغتبطا، سواء كان سارا ام محزنا وسواء احببناه ام بغضناه والحياة حين تكون على وتيرة واحدة بدون جديد منعدمة المعنى ٠ آه ، يا انا ، كم تزعجني بهذه الرقابة المستمرة التي تعرف انها لا تجدي

انـــا ـ عجبا ؟

حـامد ـ حين يقدم الانسان على تفجير ما يملكه من قنابل ذرية ، معنى ذلك انه يتزحلق فقط ٠٠ وانه وهو يصنعها ايضا يتزحلق فقط ٠٠

انـــا ـ انك تنكر وظيفتي اذن ؟

حـامد ـ مهمتك هي تقديم الرغبات ، لا اكثر ، لكن المؤسف هو انك تقدمها في شكل اوامر

انـــا ـ هكذا ٠ ؟ ٠

حـامد ـ ساصغي الى رغباتك ، حتى اذا ما اعترضتني في تزحلقي وكان في امكاني ان احققها فاني سافعل ذلك ٠٠

انـــا ـ فقط ؟

حـامد ـ (متبرما) دعني اغتبط ، آه ، كم انت مزعج ، لايسكتك الا الخمر ،

آنذاك حين تكون مخمورا ، سيكون صوتك ، ينبعث ، وكانما هو من اعماق بحر ، (يضحك فى مرارة) بل ابعد من اعماق انعدم ٠ اريد ان اغتبط ، لكن اشعر بان الغبطة تبتعد عنى شيئا فشيئا ٠٠ آه ، لماذا ؟ الم اكن منذ قليل اتزحلق نحوها ،؟ يا لك من قاس يا انا ، لقد ابعدتها عنى ، تتسبب لى فى الشقاء لماذا ؟

(ينفجر ساخطا) لماذا يا انا لماذا ؟؟ اين الغبطة ؟ لقد كنت قبل لحظات اتمرغ فيها ، يا للاسف ، اننى اريد ان اغتبط ، اريد ان اتزحلق فى هذا الاتجاه ٠٠ لكن لم يعد يجذبنى اليه

انـــا ـ (ضاحكا) اما زلت تنكر وظيفتى ؟ ؟

حـامد ـ (فى حقد) عليك اللعنة ٠

انـــا ـ اعتقد ان الخادم كذبت عليك (يضحك)

حـامد ـ كلا كلا ، لا يعقل ان تكذب ٠٠

انـــا ـ ربما لم تجدها ، ربما الفتاة هى التى كذبت عليها ؟

حـامد ـ مستحيل ، ستأتى بعد حين ، آه ، لقد ابطأت العجوز الشمطاء ، السلحفاة اللعينة ٠٠

انـــا ـ اذا لم تأت اليوم فغدا ،

حـامد ـ (صارما) اليوم ، الآن ، ابدا ستأتى اليوم ، الآن

انـــا ـ لماذا ؟ الانك تريد ذلك فقط ؟ ايتها الضفدعة الغبية ، الم اقل لك انك تأخذ الحياة من جانب واحد وانك لا تترك متنفسا لك ؟

حـامد ـ انك تعبث بل تهزأ ٠٠ لقد افسدت عنى الغبطة ايها اللعين ،

انـــا ـ حسنا ، زالت الغبطة الآن وينبغى الا تتزحلق نحو الحزن كذلك ، ابق على الحياد ، تدبر امرك لحظات ،

حـامد ـ انت الذى تدفعنى الى التزحلق نحو الحزن يا انا ٠٠

انـــا ـ فقط ، لاننى اريد ان انبهك الى اشياء تتعامى عنها ، (فترة صمت) يعز على ان تبقى بلا خط رجعـة يا حـامد ٠ ان تمتص الهواء دون ان تنفثه ٠٠

حـامد ـ (مستسلما) اننى اصغى اليك ماذا تريد ؟

انـــا ـ اذن ، الفتاة ستأتى وربما لا تأتى ، وقد تكون جميلة فترضى بها ، وقد لا تكون كذلك فتصطدم ، قد تكون طيبة فتسعدك ، وقد تكون شريرة فتشقيك ، ومن ادراك انها ليست من بنات الهوى وانها حبلى تبحث عمن تلصق به تهمة خطيرة ، (فترة صمت) على كل اريد الا تكون ضفدعـة تمتص دون ان تنفث الى أن تنفجر

حامد ـ هذه كلها امور أستطيع ان افكر فيها فيما بعد، وان اتخذ الموقف الذى تتطلبه ، اما الغبطة التى كنت اتزحلق فى اتجاهها، فانها شعور قلما تتاح للمرء فرصة ٠٠ لماذا افسدتها على يا انا ؟

انــا ـ لقد وعدتنى بانك ستصغى الى

حامد ـ اما زال لك ما تقوله انك مراقب فضولى ،

انــا ـ وصفية ٠ ؟ ٠

حامد ـ عليك اللعنة فى الليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ، يا انا

انــا ـ اعتقد انك نسيتها ، ونسيت الانتقام منها ؟

حامد ـ اليس الاولى ان ننساها ، وان لا اكلف نفسى مشقة الانتقام ؟

انــا ـ كلا ، كلا ، يجب الا تتراجع الى الوراء ، ان الثبات عنصر من عناصر الحياة ، وكذلك الانتقام ، انه يجلب الغبطة ، اكثر من اى شىء آخر ، ان فى انتقام المرء ممن اساء له ابعادا لانتقامه من نفسه ٠

حامد ـ يا للسخرية ، لماذا تكلفنا الحياة كل هـذا ؟ اليس فيهـا شىء آخـر نفعله ؟ الا نستطيع ان نتزحلق فيها دون ان نصطدم بها وببعضنا بعض ؟ ارىانى استطيع ذلك ، نعم استطيع، ارجوك يا انا انتكف عنمراقبتك لى ، فقد ارهقتنى ، دعنى على ما انا عليه ، دعنى وشأنى كما وجدت ٠٠ دعنى اتمم تزحلقى الاخير ، مجردا من كل غرض غير نبيل ٠٠

انــا ـ انك غير منسجم مع الحياة ٠

حامد ـ وذلك يغبطنى ، فالحياة ليس فيها غرض نبيل ٠

انــا ـ انت تحكم على نفسك بانك تجهل الحياة ٠

حامد ـ ليكن ذلك ، غير اننى اعرف منها ، انها لا تنطوى على غرض نبيل ، وانها لا تستحق البقاء فيها ٠

انــا ـ انت الذى لا تستحقها ٠

حامد ـ ولن ابقى فيها كثيرا ، لكن ما دمت تعرف هذا فارجـو ان تكف عـن مراقبتى ، والا تحاول اغرائى فى المستقبل ،

(ينتهى الى سمعه صوت الخادم)

انــا ـ ها قد جاءت تحكم فى اعصابك ، اننى لن اتخلى عن مراقبتك

حامد ـ ارجو ان تبقى على الحياد ، وان لا تفسد على اغتباطى ، آه ، اتراهـا اتت معها ؟

(تدخل الخادم ووراءها صفية)

المشهـــد الثـالث

حـامـد ـ انـا ـ صفيـة ـ الخـادم

الخادم ـ (تخاطب صفية) تفضلى ، ادخلى ٠

صفية ـ (مندهشة) اهو انت ؟ يا للسخرية

حـامد ـ (مندهشا ايضا) اهى انت ؟ (برهة صمت)

انـــا ـ (لحامد) فرصة للانتقام ٠

الخادم ـ ما بالكما ؟ ؟

حـامد ـ (لانا) مسكينة هى صفية لا شك انها تتزحلق مثلى فى الحياة ، لقد كنت احبها ، بل اننى ما زلت احبها ٠ (يصافح صفية) تفضلى اجلسى ٠

صفية ـ (باهتة) اتهزأ بى يا حامد ؟

انـــا ـ (لحـامد) كف عن التزحلق انتقم ٠

حـامد ـ دعنى وشأنى يا انا ، لا تفسد على الاغتباط ، فلقد تجسمت حقيقة الحياة اكثر من ذى قبل ، ان هناك جاذبية قوية تجذبنى نحو صفية الآن دعنى وشأنى يا انـا ٠

الخادم ـ (مبحلقة) اتعرفان بعضكما بعضا ؟

صفية ـ لقد كان عليك ان

حـامد ـ (مبتسما) اليست مفاجاة سارة يا صفية ؟

انـــا ـ سارة بلا شك

صفية ـ غير سارة ٠

الخادم ـ لماذا ؟ (تجلس) اجلسى ياصفية ، وساحضر لكما شايا او قهوة، انحامد من نعم الشبان ، ولا ريب فى انك لن تندمى على علاقتك به ٠

صفية ـ (تخاطب نفسها) يا للسخرية ٠

انـــا ـ اسمع يا حامد ، ادعها لتجلس الى جانبك ،

حـامد ـ لماذا ؟

انـــا ـ سأقول لك فيما بعد لماذا ، ان الفريسة بين يديك ، وتستطيع ان تنتقم كما تشاء ٠٠٠ تذكر انها خانتك ، وانها اتت اليوم الى هنا على امل ان تخونك ، يا للفرصة ٠

حـامد ـ (ساهما) كيف حالك يا صفية

صفية ــ ماذا تظننني ؟ ما رأيك في الآن ؟ (تجلس)

انــا ــ قل لها يا حـامد انك اخلص واوفى فتاة عرفتها ،

حـامد ــ (يدنو منها) وانت ما رأيك في يا صفية ، ماذا تظنينني ؟

الخادم ــ (في اذن حامد) ما رأيك ؟

انــا ــ ماذا ستقول لها ٠

حـامد ــ سأقول لك رأيي فيما بعد ، ولو انني استطيع ان اقول لك منذ الآن انها ، لا هي ، ولا هي ٠٠

صفية ــ أرأيت يا حامد كيف تقع في كمائني ؟

انــا ــ أياك ان تتزحلق معها، انها تحاول ان تفلت ، بل انها تحاول مرة اخرى ان تسخر منك ، يا للفاجرة ، دائما تترك لنفسها خط الرجعة ، اما انت يا حـامد ٠٠ فالكضفدعة ، أرأيت كيف انها منسجمة مع الحياة ؟

حـامد ــ (لانا) لو كنت مكانها لفعلت مثلها تمّاما ، (يلتفت الى صفية مبتسما) من منا وقع في كمين صاحبه ؟

صفية ــ (تبادله الابتسامة) اكنت تنصب لي كمينا ايضا ؟ يا للتجاوب ؟ (تلتفت الى الخادم) اما هذه المسكينة فانها تجهل كل شيء ٠ كم من مرة حاولت ان اعرف مسكنك ولكنك ٠٠

حـامد ــ (يقاطعها) وكم من مرة ايضا حاولت استقدامك الى هنا ، لكنك كنت تعتذرين ٠ (يضحك) كانما كنا معا نعد هذا الكمين ٠٠

انــا ــ يا للضفدعة الغبية اهكذا تتورط معها ؟ أ الى هذا الحد ؟

حـامد ــ (يتمتم) ما دمت مغتبطا فسأتزحلق ، بل انني اجدني مندفعا الى هذا التزحلق ٠ ولن اكلف نفسي مشقة التوقف ، او الحرمان ٠٠ دعني يا انا ، ان صفية بدورها تتزحلق ،
ترى لو كنت اجهل انك انت القادمة بماذا ستحكمين علي ؟

صفية ــ (تتكلف ابتسامة) ولو كنت اجهل انني قادمة الى منزل حامد (فبماذا تراه سيحكم علي ؟)

حـامد ــ (مقهقها) سيقول كلانا للآخر : أأنت ؟

صفية ــ (تقهقه) ايها الخائن ٠

انــا ــ ايها الضفدعة الغبية ،

حـامد ــ يا خائنة ،

الخادم ــ (مشدوهة) سأذهب لاعداد الشاي ،

حـامد ــ (ينظر الى صفية) اغلقي الباب خلفك ٠

(تخرج الخادم ، يتعانق حامد وصفية)

المشهد الرابع

حامد - صفية - انا

حامد - اتحبينني ياصفية ؟

صفية - لماذا تريدني ان احبك ؟

انا - دعها تعترف ، فان الاعتراف كالانتقام

حامد - عجبا ·

صفية - اريد ان احبك في بعض الاحيان ، ولكنني اجد نفسي عاجزة عن ذلك بل الواقع انني احبك لكنني لا استطيع ان احافظ على ذلك الحب ، هناك شيء في داخلي لست ادري ما هو ، يدفعني الى بغضك ·· الحقيقة الى بغض نفسي ، اشعر يا حامد ، كأنني اسير في منحدر كبير ، غير قادرة على التوقف من الانحدار فيه ··· فظيع ، فظاعة

حامد - افهم ما تقولين ، لكنني لا افهم ما تعنينه بالذات ·

صفية - اعتقد انه ينبغي الا نلتزم بشيء في هذه الحياة ، ما دمنا لا نستطيع الوفاء به

(برهة صمت)

حامد - (متوسلا) اقتربي مني.ارجو الا تقولي لي الحقائق المزعجة.(تقترب منه)

صفية - (مغتبطة) مضت مدة طويلة دون ان اذوق طعم شفتيك ·

حامد - طويلة جدا ·

(يتعانقان طويلا)

انا - (بصوت كأنه من اعماق العدم) بالامس كانت ترجو من صديقك ان لا يعيد ذكر اسمك امامها

حامد - (يدفعها بعنف) ابتعدي ، اتركيني ، شفتاك بلا طعم ، يا لك من جيفة· (يبصق)

صفية - (تنهض) ماذا تقول ؟

حامد - (يمسك بيدها) لا شيء ، لا شيء كل ما هنالك انني تصورتك قدمت الي ، دون سابق علم

انا - ماذا تريد ان تفعل يا حامد

صفية - (تجلس) اتغار علي الى هذا الحد ؟

حـامد ـ ولم لا ؟ اننى احبك

صفية ـ (تخفى رأسها بين يديها) وما ذنبى انا ان كنت تحبنى ؟

حـامد ـ من احب احدا وضعه فى مرتبة نفسه ، ايهون عليك انت ان تنفصلى عن نفسك ؟

صفية ـ يا للانانيـة ٠

انـــا ـ ارايت انها ورطتك ثم راحت تسخر منك ؟

حـامد ـ (يثور فجأة) يا لك من خائنة وغبية ، اتعتقدين اننى اجهل كل شىء ؟ اين كنت طيلة الاسبوع ؟ مـاذا قلت عنى البـارحة فى المقهى ؟ لماذا جئت اليوم الى هنا ؟

انـــا ـ (بصوت مرتفع) نعم خائنة ، لا تخجل من الخيانة ، تستحق اللعنة ، ابصق على وجهها يا حامد ٠

صفية ـ (تسحب يدها من يديه فى برودة) امن اجل الانتقام ارسلت الى اذن ؟ حسناً ، يكفى اننى خنتك لاتحصن ضد انتقامك ، اتريد ان تضربنى ايضا ؟ لك ذلك ٠ لقد خنتك وكفى ٠

انـــا ـ اصفعها ، إصفعها يا حامد ٠

(بـرهة صمت ثقيـل)

صفية ـ (تستدير نحو المرآة) حين اخرج من هنا يا حامد لن ترانى ابدا بعد ذلك ٠ لن اسمح لنفسى ان اراك مرة اخرى ، لا لاننى خنتك بل لاننى احبك ولا استطيع ان احافظ عليك ٠ او ان التزم لك بشىء

انـــا ـ انها تتنفس ٠

حـامد ـ (ساهما) اتحبيننى ؟ تقولين

صفية ـ (متأثرة) احبك وارى نفسى اننى مجبورة على ان احبك ، انك تستحق حبى ، غير اننى لا التزم بان احبك فى كل وقت ٠٠ اننى اندفع مبتعدة عنك ، كما اندفع الى الانجذاب نحوك ، لست ادرى لماذا ، ؟ واعتقد اننى هذه المرة سأندفع مبتعدة عنك الى الابد ، ربما هذه هى طريقتى فى الحب ؟ افعل ما تشتهيه نفسى وما يتلاءم معها ثم اعاكسها ٠٠ اننى لا احدد نفسيتى بالضبط ، وكل ما اعرفه اننى احبك ، وانى سأخسرك ان لم التزم بحبك ، وسأتعذب لا محالة ٠

حـامد ـ الا تثورين على نفسك من اجل ذلك ؟

صفية ـ فى بعض الاحيان ، ولكن تلك الثورة ايضا تغبطنى وتبهجنى

انــا ـ قل لها انك لم تعد تحبها • اترك لنفسك بذلك خط الرجعة • تنفس بدورك •

حـامد ـ اليس الافضل يا انا ان احتفظ بها ؟ لتبعث فى على الاقل الاغتباط ولو بين حين وآخر ، ان هناك يا انا اتجاها من الغبطة لا بد ان انجذب نحوه واتزحلق ، بيد اننى اكون اكثر اغتباطا لو تكف عن فضولك •• دعنى اسوى امورى كما صادف •

انــا ـ بمعنى ان تتنازل ؟

حـامد ـ اذا كان الاتجاه يقتضى ذلك ، ما اريده هو ان اغتبط

صفية ـ (تقترب من حامد) اشرب الشاى وحدك ، لا تذكر اسمى فى المستقبل الا مقرونا بالخائنة ، ينبغى ان انصرف •• (تهم بالانصراف)

حـامد ـ (ينهض فيمسك بها) يجب ان تمكثى معى •

صفية ـ (متمنعة) انا خائنة

حـامد ـ (يجلسها) ربما صفحت عنك •• ايسرك ذلك ؟

انــا ـ ايتها الضفدعة الغبية ؟

حـامد ـ اخرس يا انا لن اصغى اليك .. اننى اشعر ببدء التزحلق

صفية ـ لماذا تريد ان تصفح عنى ؟

حـامد ـ لاننى احبك ، ولاننى بذلك ساشعر بالغبطة ،

صفية ـ لن اقدم لك اعتذاراتى لاننى لم اخنك عن سوء نية ، كما اننى لن التزم بان لا اخونك ••

حـامد ـ لن اطلب منك ذلك •

انــا ـ يا للضفدعة الغبية تمتص الدخان دون ان تنفث • ساتخلى عنك • (تدخل الخادم بينمـا يخرج انـا غاضبا)

(البقية فى الاعداد القادمة)

تعصب ام هوس وجنـون؟

بقلم : الدكتور ابو العيد دودو

لقد تعود قراء الفكر الزاهرة ان يقرأوا لى قصة ، موضوعة كانت ام مترجمة ، غير انى ، فى هذه المرة ، احب ان اروى حادثة ، او بالاحرى اتحدث عن مشكلة ، لم اكن اتوقع ، كما لم يتوقع اولئك الذين يعيشون حولى ، انها ستتطور بهذه السرعة وتتخذ هذا الشكل الخطير الذى اصبح يهدد حياتى على نوع ما ، وربما قد يحول بينى وبين مواصلة دراستى •

وانا ، اذ افعل هذا ، اعتقد كل الاعتقاد أن ما حدث لى لا يخصنى انا وحدى ، بل يخص كل عربى يغار على عروبته ويهمه ان تعلو رايتها خفاقة فى عزة وكرامة واباء ، وان تنتصر على اعدائها الموزعين فى ارجاء العالم ، وتحبط مساعيهم الدنيئة ، ونواياهم الاجرامية ، ودعاياتهم المسمومة • وليس لى غرض من وراء ذلك سوى خدمة القضية التى اومن بها والمبادىء التى انتسب اليها ، بغض النظر عما قد يصيبنى انا شخصيا فى الايام القادمة ، وعما قد يجابهنى من مصاعب وعقبات • وهذه هى الحادثة :

فى شهر اكتوبر من السنة الماضية عينت من طرف مدير المعهد الشرقى بجامعة فيينا مدرسا للغة العربية ، فكنت ادرس تسع ساعات فى الاسبوع ، وذلك فى الـوقت الذى كنت اعـد فيه اطروحتى عن المؤرخ السورى محمد بن نظيف الحموى ، لغـرض الحصول على درجة الدكتوراه • وبما ان معرفة طلابى وطالباتى للغة العربية كانت متباينة ، ومتفاوتة ، فقد قسمت الدروس الى ثلاث حصص ، منها حصتان للمبتدئين •

وحين دخلت الصف عشية يوم من الايام ، لاحظت ان اعمار طلابى على العموم تتراوح بين الخامسة عشرة والثلاثين ، ما عدا سيدة واحدة ، فقد بدا لى انها جـاوزت الخامسة والاربعين ، ولربما على اعتاب الخمسين • كانت حمراء الشعر ، قصيرة القامة ، ضيقة الوجه ، كبيرة العينين ، تحمل نظارة سميكة • وكنت كلما نظرت اليها ، وانا اشرح قاعدة من القواعد النحوية ، بطريق الصدفة ، رايت ان نظراتهـا الى غير طبيعية ، وكثيرا ما خيـل الى انها لا تخلـو من الازدراء والاحتقار . الا انى غالبا ما كنت احـاول اقناع نفسى ، بانها قـد تكون هكذا خلقت ، وانها لا تستطيع ان تمنح وجهها مظهرا ارق والطف ، هذا بالاضافة الى انى لم ارها او التق بها قبل ذلك اليوم •

وكانت الاسئلة التى توجهها الى ، من وقت الى آخر ، لا تخلو من غرابة لسخافتها ، وكانت تعجز عن فهم ابسط المسائل النحوية ، ولم تكن تدرك حتى معنى المصطلحات النحوية فى اللغة اللاتينية ، على الرغم من ان هذه المصطلحات جارية ومستعملة فى الالمانية ، يفهمها كل من له المـام بهـا

وفى بعض الاحيان كانت ترفض الاجابة ، اذا جاء دورها والقيت عليها جملة بالالمانية وطلبت منها ترجمتها الى العربية ، ترفض الاجابة على ذلك وهى تنظر الى فى سخط • وكم حاولت ان اعرف اسباب هذا السخط ، واستكنه دوافعه العميقة ، ولكن وجدتنى عاجزا عنها • وفى النهاية لم اعد اهتم بها كثيرا ، ولم اكن اسالها الا نادرا •

وعندما حصلت على الدكتوراه فى 30 مارس 1961 وعينت مدرسا للعربية فى جامعة فيينا ، من طرف وزارة المعارف النمساوية ، بصورة رسمية ، تبين لى انها تغتنم جميع الفرص لاثارتى وانتقاد طريقتى فى التدريس ، فطورا تدعى انى اسرع كثيرا ، وطورا آخر تدعى ان خطى رديء لا يقرأ ، تارة تقول انها لا تكاد تبصر شيئا ، وتارة اخرى تقول ان السبورة مائلة • هذا مع العلم انها كانت تجلس الى يسارى ، فكانت لا ترى الا جانبا من السبورة • وقد قلت لها عدة مـــرات :

ـ ياسيدتى ، ان القاعة فارغة تقريبا ، فلم لا تختارين مكانا امامى ؟ اليس ذلك احسن ؟

ولكنها كانت تجيبنى فى غضب ظـاهر :

ـ لقد تعودت الجلوس هنا ، ولا يطيب لى تغيير مكانى • انى مستريحة هنا • فلا يهمك امـرى !

وكان طلابى وطالباتى متذمرين منها ، حتى ان احد طلابى قال لها ذات يوم :

ـ اما ان تغيرى سلوكك مع الاستاذ واما ان تغادرى القاعة ، قبل ان نخرجك بالنعال .

وقد قال لها ذلك قبل دخولى الى الصف ، كما علمت منه فيما بعد • والـواقع انى كنت اتجاهلها ، فى اغلب الاحيان ، الى اقصى حد • وفجاة بدات تتحبب الى ، فكانت تنتظرنى خارج القاعة ، لتسالنى سؤالا ما ، وذلك لمجرد ان تتحدث معى ، فكانت تقول لى احيانا : انها تجد صعوبة فى تعلم اللغة العربية وان عليها اتقانها فى ظرف ثلاث سنوات ، لانها ملزمة بالعودة الى الخارج ، على حد تعبيرها ، بعد انتهاء هذه السنوات •

ولم اسالها طبعا عن بلادها او عن اى شيء آخر من هذا القبيل ، بل كنت اكتفى بجواب قصير وامضى فى سبيلى ، اذ لم يكن من طبيعتى ان اتجاوز حدودى كمدرس مع طلابى وطالباتى • ولعل اغرب ما لاحظته انا ولاحظه طلابى على هذه السيدة انها كثيرا ما كانت تضحك دونما داع او سبب ، وتظهر اسنانهـا ، وكانت ضحكاتها مصحوبـة بشخير عجيب غريب ، طالمـا اثـار ضحك الطـلاب •

كان عدد الطلاب فى النصف الثانى من السنة الدراسية يقارب الثلاثين طالبا ، ولكنه بدا يتناقص شيئا فشيئا ، كما هى العادة فى جامعات النمسا وغيرها ، الى ان صار عبارة عن اربعة او خمسة طلاب • فكان البعض منهم يتخلف يومـا ويحضر آخر ، ولكنى لا اذكـر ان السيدة المذكورة تخلفت عن دروسها فى يوم من الايام ، ولست ادرى ان كان ذلك ناتجا عن حرص منها على تعلم العربية ، ام هو ناتج عن شيء آخر •

وكيفما كان الامر ، ففى 14 من شهر حزيران المـاضى لم اجد ، عندما دخلت الى قاعـة التدريس ، سوى طالبتين ، طالبة نمساوية ، خطيبة صديق لى عـراقى ، والسيدة المذكورة • وقبل نهاية الدرس بحوالى خمس دقائق وردت فى بيت شعرى كلمة : « اشتاق » فشرحت لهما معنى الكلمة ، وقلت من جملة ما قلت : ان العربى حين يلقى اخاه العربى او صديقه الاجنبى قد يقول له انا مشتاق ، ومن الواضح ان هذه الجملة لا يمكن ان تترجم ترجمة حرفية الى الالمانية ، لانها حينئذ تؤدى معنى آخر غير مقبول •

وما كدت انتهى من كلامى حتى تصدت لى تلك السيدة وصاحت بى فى سخرية :

ـ هم ••• انها مجرد صيغة من صيغ المجاملة والمداراة . فالالمانى على الاقل ، حين يتلفظ

بشيء في هذا المعنى ، يتلفظ به عن صدق واخلاص • اما العربي فانه ينتمي الى شعب مزيف •

وفي هذه اللحظة نسيت انى فى بناية جامعية ، وتغلب شعوري كعربي على شعوري كمدرس، لا يجوز له الدخول فى مناقشات سياسية من اى نوع كانت • وقلت لها ثائرا حنقا :

ـ كيف يجوز لك ان تقولى شيئا كهذا ؟.• انت يا ••

وكدت اقول يا ابنة اليهودى • فاحتقن وجهها ، اما ارتباكا او غضبا ، وقالت :

ـ لقد عشت بينهم عشر سنوات !

قلت :

ـ العرب اشرف امـة • ولا يشتم العرب الا نذل حقير •

فاجابت وهى تهز راسها :

ـ لقد عرفوا بالكرم والضيافة ، ولكن ضيافتهم مبنية على الغدر والخيانة ، فهم يدعون المرء لضيافته ثم قتله بعد ساعة او ساعتين •

وقبل ان اجيبها على هذا الكذب والبهتان ، انبرت لها خطيبة صديقى واخذت ترد عليها بشدة وعنف وثـورة :

ـ انى اعرف عائلة باكملها واعرف كل اصدقاء العائلة واقربائها ، ولم اجد فيهم من تنطبق عليه هذه الصفة . ان اخلاقهم ارفع من كل ما تقولين • فاكرم بهم من شعب شهم ابى !

كانت تتكلم وتحرك يديها ، حتى تصورت انها ستنشب عليها ، وتصفعها ، لانهـا كانت جالسة عن يمينها لا تفصلها عنها الا المنضدة • فقالت الاخرى :

ـ انا اعرفهم احسن منك . فقد عشت فى اسرائيل وخبرت ، بنفسى ، طبائعهم وسجاياهم ، عشت هناك عشر سنوات ، اتفهمين ؟ عشر سنوات !

وشعرت بهزة عنيفة تجتاحنى وقلت :

ـ ان ذلك لا يعنى انك عشت بين العرب ، وعرفتهم حق المعرفة •

ـ يكفى اننى عشت بين اليهود ، وعرفت مزاياهم الحسنة !

فصرخت متوجعـا :

ـ اتنكرين ما فعلوه بعرب فلسطين ، اتنكرين كيف هدموا بيوتهم وحرقوا قراهم ؟

فقالت فى شيء من الفخار المهين :

ـ لم يفعلوا ذلك • بل العرب انفسهم . لقد قتلوا حتى الوزير البريطانى لوين فى مصر •

فصحت بها وانا لا اكاد اتبينها من الغضب :

ـ لا تكذبى على التاريخ ! انت تعلمين ان المنظمة الصهيونية هى التى اغتالته كما اغتالت برنادوت فيما بعد •

– ان العرب الذين يعيشون فى اسرائيل غير العرب الذين يعيشون خارجها • انهم سعداء !

فاجبت والمرارة تملأ فمى :

– بل هم اشقى العرب على الاطلاق •

فقالت فى ترفع رخيص وظفر زائف :

– قل لى اذا ! لم يريد العرب الآخرون الرجوع الى اسرائيل ؟

– لانهم يريدون العودة الى وطنهم السليب • وهم عائدون ذات يوم ، فان لهم الحق فى كل شبر منها • وليست لهم عقيدة اخرى غير عقيدة العودة •

– لن يعودوا ابدا . انها وطننا الاصل ، ولن نتخلى عنه •

– لا تزيفى التاريخ • فانه لم يثبت انه كان لكم وطن • فالمعروف ان اليهود حينما طردوا من مصر استوطنوا جبال فلسطين واشتغلوا بالزراعة ، ولكنهم كانوا يحنون ابدا الى اورشليم عاصمة الكنعانيين ، لحضارتها وغناها ، وكانوا يعتبرونها ارضا مقدسة للسبب نفسه ، الى ان تمكنوا منها فى النهاية •

وفجأة طفرت بالموضوع الى صعيد آخر ، وقالت ووجهها ينكمش ويعوج ، ساخرة :

– لقد اشترينا اراضى فلسطين بنقودنا • الا تعرف ذلك ؟ الا تعرف ذلك ؟ الا تعرف ذلك ؟ الا تعـرف ذلك ؟

وكادت روحى تخرج وهى تردد هذه الجملة عدة مرات • وقلت لها فى ثورة :

– اعـرف اكثر مما تعرفين ! انا لا انكر ان اليهود قد اشتروا قسما من اراضى فلسطين لاستغلالها واستثمارها ، ولكن لا على اساس ان ينشئوا عليها دولة ، اما القسم الآخر من الاراضى فقد اغتصب من العرب اغتصابا بمعاونة الاستعمار .

– اى استعمار يا ترى ؟

وبدا ان اقول لها اتجهلين مائة مرة • ثم قلت :

– انه لولا وعد بلفور المشؤوم فى سنة 1917 لما كان ثمة اليوم دولة اسمها اسرائيل • ولولا تدريب الانجليز للجيش الاسرائيلى ومده بالاسلحة والعتاد الحربى ثم انسحابهم فى النهاية وترك فلسطين لليهود لما تشرد مليون عربى .

وهنا اخذت تلوى رأسها وتهز شفتيها قبل ان تقول لى :

– أنك قومى عربى وانا اسرائيلية قومية ، فلا تحاول اقناعى بشىء •

فقلت وانا اترك مكانى :

– اذا فاحتفظى بهذرك لنفسك • ان التاريخ فكر انسانى ايضا فحاولى ان تحترميه فى المرة القـادمـة •

وعقب هذا تركت الغرفة • والحقيقة لم اعلم انها يهودية الا من خلال حديثى معها . فقد

كنت انظر اليها كانسان يغض عن اصلها الذى لم تكن تهمنى معرفته ، كما انى كنت آخذ بعين الاعتبار كبر سنها وبلادتها . وكنت اتوقع انها لن تحضر دروسى بعد الآن ، وانها ستتجنب الحديث معى عن هذا الموضوع فى مناسبة اخرى ، ولكن دهشتى كانت كبيرة حين دخلت الصف فوجدتها جالسة فى مكانها كالعادة ، كان شيئا لم يحدث مطلقا .

غير ان دهشتى كانت اكبر ، حين دعـانى مدير اللغة العـربية ، الاستاذ غوتشالك . الى غرفته وقرأ علي رسالة طويلة عريضة موجهة الى مدير المعهد الاستاذ دودا من طرف السيدة نفسها . كانت تطلب من المعهد طردى من الجامعة بالمرة او اجبارى على تقديم اعتذار لها عما صرحت به فى اثناء الحديث معها ، واذا لم يحدث هذا فانها سترفع القضية الى القنصلية الاسرائيلية ، وتعرض المسألة على البرلمان النمساوى بواسطة اثنين من نوابه .

وقد رفضت ، بطبيعة الحال ، تقديم اى اعتذار ، كيفما كان نوعه ، وكل ما فى الامر ان الاساتذة طلبوا منى تقديم اعتذار الى ادارة المعهد ، لكونى قد دخلت فى نقاش معها فى حصة الدرس ، ومثل هذا النقاش تحرمه قوانين الجامعة • وكان المفروض ان يكون ذلك بحضورها هى ، ولكنها تنازلت عن اى مقابلة معى ، لانها رأت ان الاساتذة يقفون الى جانبى • فاتصلت انا ايضا بسفير الجمهورية العراقية وكل من القائم بالاعمال فى سفارة الجمهورية اللبنانية والجمهورية العربية المتحدة وشرحت لهم القضية ليستعدوا للامر •

وبعد اسبوع آخر وصلت رسالة منها الى المعهد تحمل اسمى ، وقرأت الرسالة فى مجلس الاساتذة ، وكانت الرسالة تحتوى على عشر صفحات . ليس فيها غير لغو الكلام ورخيص اللفظ، واقله غرابة قولها بانى لست عربيا ذا شرف ، لانى تركت النمساويين يسممون فكرى ويحببون الى كره اسرائيل واليهود • ولو كنت عربيا حقا لكنت من المؤمنين بمبدأ واحد ، وهو مبدأ اتحاد اليهود والعرب والزنوج ضد مطامع اروبا الاستعمارية •

وقد اتضح لى من رسالتها الى ، ومن ملاحظتى لها فى السابق ، ومن بعض الملاحظات التى كانت تبديها فى قاعة التدريس احيانا ، اتضح لى انها ذات ميول شيوعية ، ولكن اساتذة المعهد لا يوافقوننى على هذا الرأى • وعلى كل فقد احتفظ المعهد بالرسالة وبالتقرير الذى قدمته الطالبة الثانية عن مجرى النقاش الذى دار بيننا • ولعل المهم انها ذكرت فى آخر الرسالة بانها لن تقوم باجراءات ضدى .

وهكذا مر الصيف بسلام • فسافرت الى المانيا وسويسرا وكدت انسى المسالة ، وخيـل الينا جميعا انها قد انتهت ، غير اننا كنا جميعا مخطئين فقد فتحت الجامعة ابوابها فى 5 من الشهر الجارى ، وظهرت اليهودية فى المعهد من جديد وتحادثت مع احد الاساتذة فاخبرها بان دروس العربية ربما لن تبدأ قبل مطلع الشهر القادم ، نظرا لان انتقال المعهد الى البناية الجديدة سيتم بعد ثلاثة اسابيع ، ونادانىمدير المعهد نفسه فاكدت لها ذلك ، ورغم هذا بدا انها لم تقتنع بكلام احد من اعضاء المعهد •

ولم تكد تمضى ثلاثة ايام حتى وصلت رسالة مسجلة الى المعهد باسمى ، فاجتمع الاساتذة مرة اخرى لدراسة الرسالة واتخاذ قرار بشانها ، الا انها فى هذه المرة لم تكن تخصنى انا وحدى. اذ انها تهجمت فيها ايضا على وزارة المعارف وكلية الفلسفة وعميدها وعضوين آخرين من اعضاء المعهد • وقرر الاساتذة ان يجيب على رسالتها الموظف المساعد فى المعهد ، وكانت الاجابة قصيرة لا تحتوى على اكثر من سطرين ، بين لها فيها موعد ابتداء الدروس المسائية ، تماما مثلما ذكرها فى السابق ، ولكنها لم تصدق ايضا وتوهمت ان المعهد يريد ان يحول بينها وبين الالتحاق بالدروس المسائية •

لقد عرف الاساتذة من رسائلها المختلفة الى المعهد والى والى عميد الكلية نفسه ، عرفوا انها ليست عادية سوية ، بل هي مريضة مجنونة • والواقع انهم كانوا يتفكهون برسائلها كلما عرضت لهم مناسبة ، لان كل من اطلع على رسائلها حكم عليها بالهوس والجنون • الا ان الرسالة التى وصلتنى امس ، اى يوم الخميس بتاريخ 10 ـ 10 ـ 1962 ، جعلت الاساتذة يعتقدون ان الامر لم يعد مدعاة للتسلية والمزح ، بل هو يتطلب شيئا من الجد ومزيدا من الاهتمام ، وكثيرا من الحيطة والحـذر .

انها ، فى هذه الرسالة الاخيرة ، تطلب منى ان اجيب على رسالتها هذه فى مدة لا تتجاوز يوم 13 من الشهر الجارى ، اى غدا السبت 13 ـ 10 ـ 1962 ، واعلن انى خاضع لارادتها واقع تحت رحمتها ، وانى مستعد لتعليمها العربية كما شاءت وحيث ارادت ، وبكلمة واحدة اعلن ان مصيرى بيدها ، واذا لم افعل ذلك حتى هذا التاريخ ، فانها ستتسلط على انواع المطاردة والارهاب فلا اعرف الراحة ابدا •

وقد راى بعض الاساتذة ، بادىء ذى بدء ، انه من الاحسن ان تهمل الرسالة تمام الاهمال ، وان تحفظ مع الرسائل الاخرى فى غرفة المدير ، الا ان الاستاذ غوتشالك ارتأى ان يرفع القضية الى الشرطة . بعد ان عرف بواسطة استاذ العبرية ، ان اليهودية عضو فى منظمة الصهيونيـة العالمية ، فارسل تقريرا عن الحادثة وعن التهديد الى كل من عمادة الجامعة ووزارة المعارف • وبعد ظهر اليوم ذهبت بنفسى الى مديرية الشرطة وسلمت اليهم الشكوى ، لا باسمى طبعا ، وانما باسم ادارة المعهد والجامعة •

وانا اللحظة فى انتظار ما سيكشف عنه الغد ! وانى لحريص كل الحـرص على ان يطلع العرب فى كل مكان ، بواسطة مجلة الفكر الغراء ، على اسلوب آخر من الاساليب التى تستعملها الصهيونية العالمية فى محاولة الضغط على كل عربى شديد الايمان بعروبته •

فيينا ـ 12 ـ 10 ـ 1962 ـ الدكتور ابو العيد دودو

أصداء الفكر

• مهرجان طبرقة

كانت مدينة طبرقة الرابضة فى اقصى الشمال الغربى من الجمهورية التونسية بين غابات الفلين (الخفاف) الكثيفة الدكناء وبين أمواج البحر الزرقاء .. كانت خلال الشهر الماضى مسرحا لمهرجانات اقتصادية وصناعية وتجارية رائعة بمناسبة عيد المرجان .. الذهب الاحمر الذى يخلب لب الحسناوات منذ اقدم العصور فيتنافسن فى الحصول عليه ليتخذن منه عقودا تزيدهن بهجة وجمالا .

وامتاز مهرجان المرجان الاخير بمشاركة كتابة الدولة للثقافة والاخبار التى ادركت مدى امكانية استغلال هذا المهرجان فى بعث الفن الفلكلورى وترويجه وفى التعريف خاصة بما حققته مصالح كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار فى هذا الميدان المرتبط ارتباطا وثيقا عميقا عريقا بالفن الشعبى التونسى وبالتقاليد المميزة لهذا الشعب وارث الحضارات العديدة منذ عشرات القرون

وقد احسنت كتابة الدولة فعلا لما وجهت الدعوة الى مسرح الفنون الشعبية بالجمهورية العربية السورية وفرقة الفن الفلكلورى بالسودان للمشاركة فى مهرجان طبرقة للمرجان فوفقت بذلك الى تحويل المهرجان الاقتصادى الى مهرجان فنى ممتاز كما سمحت بمناظرة الفرق الفنية الفولكلورية بتونس وسوريا والسودان للاطلاع والافادة والاستفادة

وكسب مهرجان طبرقة بفضل هذه المشاركات الفنية طابعا جديدا وحقق سبقا فى ميدان الملتقيات الفنية لفرق البلدان العربية

وابرز مهرجان طبرقة المجهود الذى بذلته كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار فى تأسيس نواة فرقة فلكلورية تونسية سوف تضطلع بتمثيل تونس فى المهرجانات الفولكلورية العالمية بعد مدة نرجو ان تكون قصيرة

وقدمت الفرقتان السورية والسودانية خير ما يمكن تقديمه فى مثل هذا المهرجان فكانت مشاركتهما محل اعجاب وتقدير جميع زوار مهرجان طبرقة

واكرمت كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار رسل الفن الفلكلورى السورى والسودانى فاهدت كل فرقة الف دينار وصالونا من روائع الصناعة التونسية

واقامت حفلا شيقا بدار زروق تكريما للضيوف الذين لم يخفوا اعجابهم بالنهضة الفنية الشعبية التونسية وتقديرهم للحفاوة الاخوية التى كانوا يقابلون بها حيثما توجهوا فوق تراب الجمهورية التونسية

ونستطيع ان نقول فى خاتمة هذه الكلمة ان نجاح مهرجان طبرقة لسنة 1962 يبشر بنجاح اعظم سيحرزه مهرجان سنة 1963

• الذكرى الألفية لتأسيس بغداد

يستعد العراق الشقيق للاحتفال بالذكرى الألفية لتأسيس بغداد وذكرى مرور احد عشر قرنا على وفاة الفيلسوف العربى الكبير الكندى

وقد وجهت الدعوة بهذه المناسبة الى 46 مدعوا من الدول العربية والاسلامية منهم الشيخ الاستاذ محمد الفاضل بن عاشور والاستاذ البحاثة حسن حسنى عبد الوهاب والاستاذ مصطفى زبيس (تونس) والى عـدد كبير من المستشرقين يمثلون الجامعات والمجامع اللغـوية ببلـدان كثيرة فى العـالم .

وقد علمنا ان لجنة الاحتفالات التى يـرأسها الدكتور ناجى الأصيل قـررت اصدار عشرة طوابع تذكارية تمثل بعض معالم بغداد كما قررت طبع كتاب « حكومات » بغداد منذ تاسيسها حتى عهدها الجمهورى « وكتابا عن حياة الكندى وآثاره وكتابا ثالثا عن جمهرة المراجع البغدادية »

◆ استمعنا الى التحاليل الادبية التى القاها الاستاذ الشاعر عبد المجيد التـلاتلى فى اذاعتنا الدولية باللغة الفرنسية حيال اشهر الكتب الادبية العالمية

اننا نهنىء الشاعر التونسى على نجاحه ونتمنى له المزيد من التقدم فى عمله الثقافى الادبى ونود ان لو ترجم عمله ذلك الى العربية لتعم الفائدة او انه عمد الى نشر دراساته تباعا على اعمدة الصحف فلا نظن فى هذا الصنيع الا تمام الجدوى وعموم النفع

◆ هل يستحق الشابى كل هذه الضجة ؟

نشرت مجلة الفكر العربى مقالا عن (ابو القاسم الشابى) كتبه الدكتور يوسف عز الدين وقد كثرت الدراسات عن أبى القاسم واتخذه كثير من الكتاب وسيلة من وسائل الكتابة ورآه بعضهم زعيما من زعماء الفكر العربى وبذلك اخذ الشابى منزلة أكثر مما يستحقها فى عـالم الادب والفكر وقد عالج الكاتب هذه الناحية ودلل باسلوب منطقى على مكانة الشاعر الحقيقية فقال: (ان الشابى اكتسب شهرة أكثر مما يستحق ساعد على ذلك عدم وجود ذكر لشعراء تونس فى الشرق العربى وما حفلت بـه حياته من مآسى وزاد فى هذه الشهرة ما كتب عنه لأنـه يمثل الشعر العربى فى شمال افريقيا العربى ولو نخلنا ديوانه لما وقف على قدميه مع اى شاعر من شعراء الدرجة الثانية فى البلاد العربية كالعراق وسوريا ومصر)

وقال عنه (كانت الظروف كلها تستعد لشهرة ابى القاسم الشابى والظروف طالما خدمت الادباء والشعراء فى الشهرة وليس الشابى باشعر شعراء تونس ولا بأعلم علماء تونس ولكن حالفه الحظ فى هذه الشهرة ولم يحالف الحظ اخـوانا له يفوقون الشابى شعرا وعلما وفضلا وادبـا . . .)

ونحن نؤيد الدكتور الفاضل فيما ذهب اليه وان فى تونس من يفوقونه ادبا وشاعرية

هذا ماجاء فى العدد 3 ـ السنة 3 من مجلة « المكتبة » العراقية فما رأى أدبائنا فى تـونس ؟ ؟

◆ المـؤتمـر الاسلامـى

اتصلنا ببيان صادر عن المؤتمر الاسلامى يوضح الاهداف ولا يضبط الوسائل الا انه من المفيد ان يطلع عليه قراؤنا الكرام :

مـا هـو ؟

المؤتمر الاسلامى منظمة شعبية اسلامية من الشعب والى الشعب ..

هو حركة شعبية عالمية قامت من اجل السلام والتقدم والازدهار ـ من اجل التعاون والقوة للمسلمين , فى جميع الاقطار .

انه حركة ايجابية بناءة للنهوض بالامة الاسلامية نهوضا يرد لها مكانها الطبيعى ورسالتها الخالدة ويعيد لها سابق مجدها وعزها .

مــا هو شعــاره ؟

ان شعار المؤتمر هو الاية الكريمة « انما المؤمنون اخوة » وفى هذا الشعار تكمن كل معانى الاخوة والتعاضد وتنسيق الجهود بين مسلمى الارض للتعاون فى جميع ما يعود بالخير على الاسلام والمسلمين .

اين مكاتبه ؟ ومــا هو نشاطــه ؟

للمؤتمر مكتب رئيسى فى كراتشى كما انشأ مكتبــا فى بيروت خــاصا بمنطقة الشرق الاوسط ومن برنامجه انشاء مكاتب له فى كل من جنوب شرق آسيا وافريقيا وفى مقر هيئة الامم المتحدة وان شاء الله ستكون هذه المكاتب جاهزة قبل انقضاء هذا العام .

ومن برنامجه انشاء مراكز اسلامية فى شتى انحاء الارض لخدمة شباب الاسلام الصاعد . وستجهز هذه المراكز بغرف للقراءة ومكتبات الى جانب قاعات رحبة للخطابة والاجتماع .

ليس هذا فحسب بل هناك مخطط لانشاء اكاديميات للبحوث الاسلامية من شانها ان توضح الطريق امــام المسلمين فى مجالات الدين والاجتماع والزراعة والاقتصاد والسياسة ولا شك انه عمل شاق وواجب عسير يحتاج الى تفكير طويــل وعميق ودراسة مسهبة ومفصلة قبل وضعه مــوضع التنفيذ .

هذا وقد اسس المؤتمر لجنة مختصة لدراسة كل ما يعترض المسلمين اينما كانوا من مشاكل لدراستها وتقديم تقرير واف عن المشكلة للمؤتمر . ومن اهدافه اصدار نشرة اخبارية اسبوعية عن نشاط المؤتمر واعماله تكون بمثابة حلقة اتصال بين المؤتمر وفروعه ومؤسساته من جهة وبينه وبين العالم الاسلامى عامة من جهة اخرى .

ومن برنامجنا اصدار مجلة راقية نخصها بالبحوث الاسلامية القيمة ، فى اقرب فــرصة .

ايها الاخ المسلم اينما كنت ،

ان المؤتمر فى جميع ما قدم من مشاريع وخطط بأمس الحاجة اليك ، الى نصحك وارشادك ، الى تعاونك واقتراحاتك فى اى مجال من المجالات المتقدمة . انها منظمتك . الحق بها لتسهم فى تقويتها انها مفتوحة امام جميع المسلمين فى العالم بلا استثناء واذكر دائما ان (لبنة اليوم هى بناية الغد) فاسرع اليها مع جميع معارفك واصدقائك لتلتقى مع الجموع الاسلامية المتماسكة حول شعــارهــا الخــالــد :

انما المــؤمنــون اخــوة

ولبيان ما قام من اجله المؤتمر ليس هناك ما يوضح ذلك اكثر من سرد اهداف المــؤتمر واغــراضه المنصوص عليها فى دستور المؤتمر نفسه :

اغــراض المــؤتمر واهــدافــه هى :

اولا : القيام بخدمة شاملة لقضايا الاسلام والمسلمين .

ثانيا : معالجة جميع مشاكل الاسلام والمسلمين دون التعرض للسياسات الداخلية .

ثالثا : العمل على ازالة كل نوع من انواع التمييز والتحيز القائمة على اسس العنصر او الوطن أو اللون فى صفوف الشعوب الاسلامية وتوحيد قوى المسلمين فى رباط اخوة اسلامية

قوية وايجاد وحدة فى الفكر والعمل لتحقيق المثل الاسلامى الاعلى وهو وحدة الامة الاسلامية مع احترام الكيانات القومية والوطنية لكل بلد مسلم .

رابعا : السعى لتثقيف المسلمين ليتمكنوا من تكوين مجمل نظام حياتهم وفقا لتعاليم الاسلام والمساعدة على انشاء مؤسسات ثقافية وحلقات دراسية ومنظمات تربوية ورعاية تنظيم الزيارات المتبادلة والبعثات الثقافية وتشجيع برامج التبادل الثقافى بالوسائل المتيسرة .

خامسا : تحسين ورفع مستويات المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمعيشية والاسهام فى تحقيق مستويات حياة افضل للجنس البشرى باسره .

سادسا : تكوين وحدة الفكر والعمل بين المسلمين وبعث الوعى فى نفوسهم بالعقيدة الاسلامية واتخاذ جميع الاجراءات اللازمة للمحافظة على الثقافة والحضارة الاسلاميتين وصيانة الثروة العلمية الاسلامية والسعى لنشرها وتعميمها .

سابعا : اعداد نظام ثقافى شامل لضمان تحقيق المطالب الدينية والعلمية فى العالم الاسلامى فى ضوء مبادىء الاسلام واقامة مؤسسات لوضع ذلك النظام موضع التنفيذ .

ثامنا : تأسيس مراكز للتثقيف والتدريب فى المجالات الادبية والبدنية والعناية بالشباب الاسلامى خاصة ، لاعداد افراده اعدادا صالحا للعمل بتعاليم الاسلام بحماسة ووعى واخلاص ، وكذلك تدعيم المراكز الثقافية الاسلامية الاخرى فى انحاء العالم ماديا وادبيا .

تاسعا : المحافظة على حقوق النساء وفق الشريعة الاسلامية والحرص على اعداد المسلمات ليكن مواطنات صالحات عقليا وخلقيا ليتمكن من القيام بدورهن الكامل الملائم فى المجتمع الاسلامى وفقا لما رسمه الاسلام للتقدم الانسانى .

عاشرا : عرض الاسلام عقيدة وشريعة شاملة ونظاما للحياة بشكلها الفطرى النقى الاصيل واتخاذ اجراءات فعالة لتحقيق (الدعوة والتبليغ) ، بحيث يدرك العالم ادراكا تاما قيمة الدين الاسلامى الحنيف واهميته وشموله .

احد عشر : اتخاذ اجراءات ملائمة لجمع وتوزيع الانباء والمعلومات والحقائق والارقام والاحصاءات الصحيحة عن العالم الاسلامى وابلاغ مختلف الاقطار والشعوب الاسلامية بحاجاتها ومتطلباتها السياسية والاقتصادية والتجارية والصناعية والثقافية وغيرها ، وانشاء وكالات خاصة لدراسة هذه المشاكل من قبل خبراء واختصاصيين وعلماء من مختلف اقطار العالم .

اثنى عشر : العمل على تعريف العالم بمستوى نشاط المسلمين فى مختلف نواحى الحياة ومشاكل العالم الاسلامى ، وتكييف الرأى العام العالمى بما يعزز المصلحة الاسلامية فى هذا الصدد وبذل الجهود لحلها .

ثلاثة عشر : القيام بالواجب الذى يدعو اليه الاسلام فى تأييد حركات التحرر والتقدم للشعوب المستعبدة فى انحاء العالم عامة والشعوب الاسلامية خاصة .

اربعة عشر : توحيد الجهود لصيانة السلم والاستقرار فى العالم وبذل المساعدة الممكنة فى اقامة اوضاع تحترم فيها كرامة الانسان والاسهام فى الميادين الثقافية التى تعود على البشرية بالخيـــر .

خمسة عشر : اتخاذ اى اجراء آخر ، قد يعتبر ضروريا ، بين وقت وآخر ، لتعزيز هذه الاهـــداف .

• استجوبت مجلة أضواء الاستاذ محمد مزالي مدير هذه المجلة فاجابها بما يلي :

1 ـ هل تلتزمون فى مجلتكم نهجا فكريا او ادبيا معينا ؟ وما هو موقفكم من قضية الالتزام فى الادب عامة ؟

أسست صحبة جماعة من المثقفين التونسيين هذه المجلة سنة 1955 اى عند فجر الاستقلال التونسى ، للشعور الملح بالحاجة الى احياء الأدب وبعث الثقافة بتونس خاصة وفى المغرب الكبير عامة ، وكذلك سعيا الى تبين المبادىء والاسس التى يمكن ارساء مذهب تونسى عليها ـ هذا المذهب الذى اراه ضروريا لاكساب حياتنا معنى وغاية ٠ وبعد سبع سنوات من نشوئها يمكن القول بأن مجلة « الفكر » قد قامت بخدمات متواضعة فى هذا الميدان ، وانها بالاضافة الى ذلك اتاحت المجال لمواهب كثيرة وأقلام جديدة ان تعبر عن نفسها وتؤكد وجودها ٠

وعلى هذا الاساس فان مجلة « الفكر » لا تلتزم بنهج فكرى او ادبى معين ٠ معيارها الوحيد للنشر او الاهمال هو اصالة الانتاج وصدق الكاتب لا غير ٠ يشارك فى تحريرها ادباء شيوخ وشباب ؛ أنصار الشعر الكلاسيكى وأنصار الشعر الحر ٠ وتجد فيها القصص الواقعية الاجتماعية والقصص الذاتية البسيكولوجية ٠ والذى يجمع بين هذه وتلك هو حد أدنى من الجودة٠ وتبعا لذلك ايضا فاننا لا نؤمن بالالتزام اذا أريد به الزام الكاتب أو الاديب من طرف غيره وتسخيره بالرغم عنه ٠ بل نحن نعتقد ان الاديب حر او لا يكون ؛ كما نعتقد ان الاديب الاصيل ملتزم عن طواعية واختيار نحو قضايا الانسان ٠ ثم انى أرى انه لا يمكن لأى كان ان يحكم على هذا الاثر الادبى أو ذاك بأنه يخدم هذه القضية او تلك ٠ الاثر الادبى خلق ولا بد ان يزعج المعاصرين ٠ والتاريخ يشهد بان الكثير من المفكرين والادباء اتهمهم معاصروهم بالاسغاف او الجنون او الخيانة ثم انصفهم التاريخ ٠ وقديما اضطر أهل اثينا سقراط على ان يتجرع السم فظنوا انهم قتلوا سقراط ، الا ان سقراط لم يمت ٠ واذن فنحن متمسكون بقدر كبير من التواضع ازاء الانتاج الأدبى الذى يصلنا ، ولا نعتقد اننا معصومون ٠

2 ــ هل لكم ان تحدثونا باجمال عن الادب التونسى الحديث ؟

يوجد فى تونس أدب خصب ؛ ولا يكاد عدد الشعراء والروائيين واصحاب المقالات يحصى ٠ الا ان صعوبة الطبع والنشر تحول دون تدوينه واذاعته فى تونس نفسها وفى العالم العربى ، مما يجعل اخواننا هناك يتخيلون ان التربة التونسية عقيم فى هذا الباب ؛ او يقتصرون على معرفة ابى القاسم الشابى ٠ بينما تزخر عشرات المجلات التونسية والصحف الادبية اليومية بالقصائد والقصص والبحوث ٠ ولعل تأسيس الشركة التونسية للنشر والتوزيع سيعين على التقليل من حدة هذه الازمة ٠ ونأمل ان يعرفنا اخواننا فى الشرق حق المعرفة ، بما لنا وما علينا ، كما نعرفهم نحن من خلال ما يرد علينا من كتبهم ومجلاتهم حق المعرفة ايضا ، بما لهم وما عليهم ٠

اما فيما يخص قيمة هذا الادب فانى استطيع ان اقول من دون تواضع مفرط أو زهو انه لا يقل نضارة وروعة ومعانى وصلة بالانسان ومنزلة هذا الانسان من الكون ومن مصيره عن غيره من الآداب العربية الاخرى٠ وبالاضافة الى قيمة هذا الادب الذاتية ، فانه يجدر ان نذكر انه لا يزال يواكب الحياة التونسية فى حركتها ونضالها وآلامها وآمالها ٠ ولعل قارىء مجلة « الفكر » والصفحة الادبية من جريدتى « العمل » و « الصباح » ، وبالنسبة لفترة ما قبل الاستقلال ، مجلتى « المباحث » و « الثريا » ، يجد نماذج مما اشير اليه٠

3 ــ هل هناك من ظواهر لمسألة ازدواجية اللغة العربية فى تونس ، وكيف تنعكس تلك الظواهر على الوضع الفكرى والادبى ؟

ليس متحدة هذه الازدواجية فى اللغة العربية الى الدرجة التى قد تظن٠ ذلك ان اللغة العربية منتشرة انتشارا كبيرا لا فى اوساط المثقفين فحسب ، بل وفى الطبقات الشعبية كافة ٠ وذلك :

اولا ــ بفضل الجامعة الزيتونية التى لم تزل منذ ثلاثة عشر قرنا تعلم الاجيال بعد الاجيال وتساعد على نشر اللغة الفصحى ٠

ثانيا ــ لانه لا يوجد قبائل بربرية فى تونس ٠ فقد تعربت جميع الجهات منذ الفتح الاسلامى ، ثم تعزز جانب اللغة العربية بعد زحف بنى

هلال ، وخاصة فى الجنوب التونسى ، حيث يمكنك ان تسمع اهالى « الجريد » مثلا يستعملون لغة عربية فصيحة فى معاملتهم اليومية • وكذلك جميع البدو فى حلهم وترحالهم •

ثالثا ــ بفضل العمل الجبار الذى تقوم به الاذاعة الوطنية فى اوساط الشعب •

اما بالنسبة للادباء فانهم يستعملون جميعا اللغة العربية الفصحى الا فى بعض المسرحيات والقصص حيث يستعملون كلمات عامية لا مندوحة عنها• وفى هذا العمل أجد خدمة جليلة تسدى الى اللغة العربية ، اذ انها تساعد على اغنائها وتطويرها وجعلها تواكب الحياة ؛ فيكون شأنها شأن جميع اللغات فى العالم ، ولا يبقى الا أن تقر المجامع اللغوية هذه الكلمات الجديدة •

4 ــ ما هى حال المسرح فى تونس ؟

ان المسرح التونسى ناشط وزاخر بالحياة • لقد لعب دورا هاما فى الحياة التونسية منذ مطلع هذا القرن فساعد على تقوية مقومات الشعب التونسى بما احياه من شخصيات تاريخية عربية اسلامية تحكى مجد الامة العربية وايامها الذهبية وبذلك تقاوم هذه المسرحيات الاستعمار الثقافى الذى كان يرمى الى تشويه تاريخ تونس ومسخ شخصيتها ليسهل ابتلاعها سياسيا • وكثيرا ما تحمس الجمهور التونسى لرواية « صلاح الدين الايوبى » وكذلك لروايات تونسية كثيرة مثل « عبد الرحمن الناصر » و « الواثق بدين الله » و « الكاهنة » و « زيادة الله الأغلبى » و «المعز لدين الله الفاطمى» وكثير غيرها •

يوجد فى الجمهورية التونسية مسارح وفرق تمثيلية فى أغلب المدن ، بحيث يمكن القول بان المسرح التونسى يؤدى رسالة اجتماعية وثقافية ذات بال •

اما فيما يتعلق بمستوى التأليف المسرحى من حيث انه تصوير لمأساة الانسان او تحليل لشخصيته فان رواية « السد » لمحمود المسعدى تعد رائعة فى هذا الباب • وكذلك عشرات المسرحيات التى الفها على الدوعاجى •

◆ رابطة القلم الجديد

استقبل السيد الشاذلي القليبي كاتب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار مساء الخميس 18 اكتوبر 1962 ـ مكتب رابطة القلم الجديد بتونس ـ المتركب من رئيسه البشير خريف ومساعده عبد المجيد التلاتلي ـ وكاتبه العام منور صمادح ومساعده الهادي نعمان وعضوه عز الدين المدني ـ حيث قدموا للسيد كاتب الدولة برنامج 1961 ـ 1962 المتمثل في العناصر التالية :

برنامج موسم 61 ـ 62

1 ـ محاضرات
2 امسيات شعرية
3 ـ امسيات قصصية
4 معرض للرسم
5 ـ اسبوع الكتاب
6 ـ ندوات فكرية
7 ـ حصة اذاعية
8 ـ نشاط موسيقى
9 ـ استقبالات وحفلات ادبية

ومكتب الرابطة يشكر للسيد كاتب الدولة عميق تفهمه وخالص تشجيعه ووافر استعداده لاعانة رابطة القلم الجديد على تحقيق مشاريعها الثقافية

◆ زيارة الامير سعيد والدكتور حقي الى تونس

مر بتونس خلال شهر اكتوبر المنصرم زعيمان عربيان كبيران من المشرق في طريقهما الى الجزائر للتهنئة بفرحة الاستقلال . احدهما الامير سعيد الجزائري حفيد الامير عبد القادر من زعماء الجهاد المعروفين . والاخير هو الدكتور حقي من زعماء الفكر المشهورين وقد عرف في الصحافة اديبا شاديا وشاعرا رقيقا وهو في سن الصبا المبكر ثم توالى تفتح عبقريته بسرعة مذهلة فاتقن عددا من اللغات الحديثة والقديمة والف ستة وثلاثين كتابا معروفة متداولة وله تحت الطبع اربعة كتب ستظهر جميعا متوالية وراء بعضها بعض حول نهاية هذا العام . الاول « عشر قمم في تاريخ الادب العربي » تقوم بطبعه دار النشر للجامعيين في بيروت . الثاني : « ريلكة امير شعراء المانيا » تقوم على طبعه دار اليقظة بدمشق . الثالث « قاموس الحقوق » تقف على طبعه مؤسسة النشر بتونس . الرابع : « تونس الحديثة » وتقوم على طبعه مؤسسة النشر والتوزيع التونسية كذلك .

والدكتور حقي متسع الثقافة عميق التفكير يتميز باسلوبه في التاليف والترجمة كما يتميز بسلوكه الخاص في الحياة فهو لا يدخن ولا يعاقر الخمرة ولا يقتل وقته الا بالدرس والبحث حاضر النكتة نشيط الحركة وله جلد عظيم على المطالعة والكتابة حتى لينذر ان يجلس وراء مكتبه ويغادره قبل اثنتى عشرة ساعة واعجب ما فيه هذه الذاكرة التي لاتنسى شيئا او تكاد .

وقد اتم الدكتور حقي دراسته بكليتي الحقوق والآداب في جامعة دمشق ثم اكملها في مصر وباريس وشغل وظائف متعددة في التدريس والادارة والسلك الديبلوماسي في البلاد العربية وقام بسياحات متعددة لجميع البلاد الاوروبية والعربية وافريقيا الشمالية والشرقية والوسطى وجاس مجاهلها وكتب عنها المقالات العديدة اما الكتب فقد بدا بنشرها في كتاب (ليبيا العربية) وينوى اصدار كتاب عن كل بلاد مجهولة زارها سواء في جزيرة العرب او في افريقيا .

فاهلا وسهلا بالضيفين الكريمين